وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التبسي – تبسة
كلية الآداب واللغات الأجنبية
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر (ل.م.د) في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد حديث ومعاصر

بعنوان:

أدبية الحدث القصصي في الخطاب القرآني "نماذج مختارة"

إعداد الطالبتين:

- جيهان كوثر خالدي
- شيماء سواحي

إشراف الدكتورة:

د/ جنات زرّاد

أعضاء لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
وهيبة بهلول	محاضر "ب"	رئيسا
جنات زرّاد	محاضر "ب"	مشرفا ومقررا
عبد الوهاب خالد	مساعد "أ"	مناقشا

السنـــة الجامعيـــة: 2019 – 2020

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التبسي – تبسة
كلية الآداب واللغات الأجنبية
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر (ل.م.د) في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد حديث ومعاصر

بعنوان:

أدبية الحدث القصصي في الخطاب القرآني "نماذج مختارة"

إعداد الطالبتين:

- جيهان كوثر خالدي
- شيماء سواحي

إشراف الدكتورة:

د/ جنات زرّاد

أعضاء لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
وهيبة بهلول	محاضر "ب"	رئيسا
جنات زرّاد	محاضر "ب"	مشرفا ومقررا
عبد الوهاب خالد	مساعد "أ"	مناقشا

السنـــة الجامعيـــة: 2019 – 2020

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ التوبة: ١٠٥

شكر وعرفان

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

النمل: ١٩

الحمد لله ذو الفضل والمنة والصلاة والسلام على رسوله أكرم الخلق وهادي الأمة، اللهم لك الحمد كما ينبغي بجلال وجهك العظيم ولك الحمد والشكر بما أنعمت علينا من فضلك وهديتنا وعلمتنا وأنرت بصيرتنا، ويسرت مسيرتنا حتى تمكنا من إتمامها بفضل منك وحولك وقوتك فلك الحمد والشكر كله.

وبعد أن أتممنا مذكرتنا استذكرنا الجهود الّتي تسببت في وصولها إلى شاطئ الأمان وغدت أنفاسا في كلمة لابد أن نذكرها وهذه الكلمة نتوجه فيها إلى الدكتورة الفاضلة ﴿جنّات زرّاد﴾ – حفظها الله – والتي تفضلت مشكورة بالإشراف على هذه المذكرة وما قدمته لنا من نصائح وإرشادات قيّمة لإنجاز هذا العمل المتواضع، فلها منّاجزيل الشكر وجميل العرفان.

ونخص بالشكر الأساتذة الأفاضل أعضاء اللجنة على تفضلهم بمناقشة هذا العمل وتصويب أخطائه.

كما لا ننسى طاقم الأساتذة وإدارة كلية الآداب واللغات الأجنبية (قسم الأدب العربي)

نسأل الله التوفيق والسداد

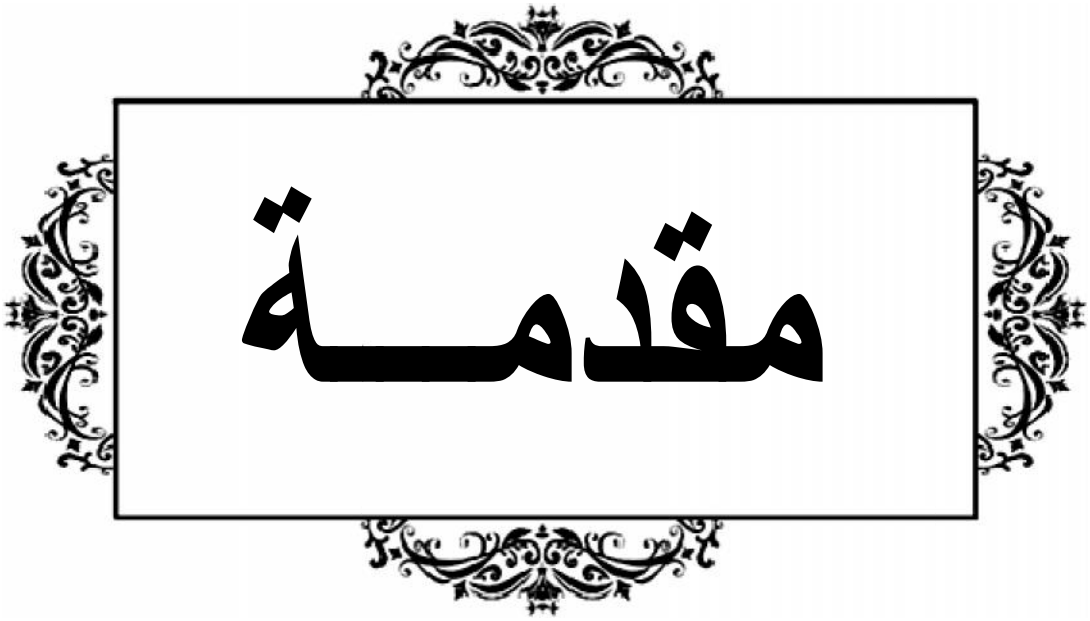
مقدمـــة

يعتبر الخطاب القرآني فضاء مدهشا يحمل العديد من الإختلافات تميزه عن الخطاب الأدبي الجاهلي قديما من تباين الأسلوب،وتميز المضمون رغم اشتراك اللغة، حيث يعد هذا الخطاب استنادا لدراسة الكثير من المفكرين، نصا مبهرا صالحا لكل زمان ومكان؛ في دراسته خوض لمغامرة حفيفة بالإكتشافات مع ربطه بسياقات وهوية القرآن ذاته، حيث يمثل أول كيان لغوي نصي اخترق مصدره مرجعية النّصوص البشرية الّتي ألفتها الذاكرة الأدبية، ليجسد خطابا إلهيا محكما مبينا وما ينطلق في حثه من مضامين روحية ومعنوية تختلف عن الرسائل السابقة المألوفة.

إذ أن البنية الخطابية القرآنية في كل تمظهراتها وبمختلف أغراضها الدنيوية والغيبية، وفي تنوعاتها السرديّة الأسلوبية المختلفة تتشكل وفق بنيات فنية جماليّة متعددة، من زاوية أسلوبية حديثة وفق شواهد وسياقات حقيقية وأخرى غيبية، تختلف كل الاختلاف عن نظيرتها الأدبية؛ إذ أن الواقعة القرآنية باعتبارها إشكالا جماليا بلاغيا تزاوج فيه مستويين بيانيين واحد حسي وآخر ميتافيزيقي، بعث في المتلقي تساؤلات حول التنوّع والتلون للمنظومة الجمالية للعرض القرآني، الّتي تصوغ معطياتها ومشاهدها القصصية بنسج فنّي وبناء جمالي باهر، لتقديم مقاربة حول النظم الصارم للصياغة القرآنية قصد تهييء المجال أمام إمكانية ظهور مادة بحثية قائمة على تأصيل ما يمكن أن يسمى "بأدبية الحدث القصصي في الخطاب القرآني".

ولقد كان اختيارنا لدراسة جماليّة القصّة القرآنية وأساليبها البيانية الفنّية نابعة من رغبة ذاتية، وحاجة فكرية تستجيب لميولاتنا وإطلاعنا على القرآن الكريم، والإهتمام بقصصه وبثواب قراءته وتسخيره للدراسة والفهم مستقبلا، إضافة إلى شغفنا بالقصة عامة لما فيها من متعة وتشويق وعبرة وعظة.

على غرار الأسباب الموضوعية المتعددة، إذ أن تفوق القصّة القرآنية على القصّة الأدبية، ودراسة أسرارها الفنّية والجمالية سيقدم نكهة ويضفي فائدة على المتلقي أو القارئ الأدبي على وجه العموم.

ولقد وجدنا في الخطاب القرآني فضاء رحبا لطرح أسئلة أدبيّة وعرض إشكالات معرفية لازال البحث الأدبي يثيرها والمناهج النقديّة في حاجة إلى استثمارها، كون وظيفة الأدب الأهم كشف جماليات الخطاب وأساليبه المشوقة وتراكيبها البيانية المدهشة، ذلك أن السؤال المبدئي إنطلق من إشكال كيف تجلت أدبيّة الحدث القصصي في الخطاب القرآنية؟ أي كيف صاغ الخطاب القصصي القرآني سؤال الجمالية الأدبية في قراءته، في إطار الواقع التاريخي والأدبي المعاصر الذي يَعتبِرُ أساس الوظيفة الأدبية للحدث القصصي.

إذ لا يمكن عزل القرآن عن العالم والدراسة المعاصرة، كونه نصا لا يرفض الإنغلاق النظري أو المنهجي الذي تعاني منه بعض النّصوص الأدبية بسبب تغيرات السياقات الّتي غربت النّص عن كاتبه.

فلابد لكل بحث أن يقوم على نسق من الأسئلة الّتي تلخص الإشكالية الأم ومنها:

- كيف نسج لنا الخطاب القرآني الجمالية في قصصه؟.
- ما تمظهرات الجمالية في قصص القرآن الكريم؟.
- وما مدى تأثير الأدبية القرآنية على المتلقي؟.

إذ أنّ كل فصل يطرح أسئلة خاصة بالعرض الملائم الّتي لا تخرج عن الإشكالية الرئيسية؛ وحتى لا تتشعب بنا الخطى ونأتيها في دروب هذا البحث ارتأينا وضع خطة ممنهجة نسير على هديها، وتتكون هذه الخطة من مدخل وفصلين تسبقهم مقدمة وتتلوهم خاتمة؛ حيث تناولنا في المدخل المعنون بـ: " بين النّص القرآني والخطاب القرآني"، العناصر التالية:(مفهوم القصة، علاقة النّص القرآني بالخطاب القرآني) أمّا بالنسبة للفصل الأول الموسوم بـ: "أهداف وسمات القصص القرآني" فقد قسمناه إلى قسمين: القسم الأوّل: "الأدبية والقصص القرآني": (مفهوم الأدبية، أدبية الخطاب القرآني،مفهوم القصص القرآني،أهداف القصص القرآني).

ثم القسم الثاني عنوانه: "بنية القصص القرآني وخصائصه": تعرضنا فيه إلى: (أنواع القصص القرآني، الخصائص الفنّية للقصة القرآنية، أنواع البني القصصي في الخطاب القرآني)

أمّا الفصل الثاني الموسوم بـ: "أدبية الحدث القصصي في الخطاب القرآني" فقسمناه هو الآخر إلى قسمين الأول: "الأدبية وبنية الحدث": (الشخصيات ومنطق الأفعال، الحدث والبنية الزمنية، الحدث واستعراض المكان، الحوار ودوره في بناء الحدث)

ثم القسم الثاني المعنون بـ:"جمالية الأسلوب في الحدث القصصي":(الرمزية في الحدث القصصي، التصوير الفني، الإيقاع الموسيقي، الحدث وآفاق التلقي)

لنصل في الأخير إلى وضع خاتمة رصدنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال سيرورة هذا البحث.

ولتحديد عناصر الجمالية الّتي يتمركز حولها الخطاب القرآني في قصصه المختلفة، وطرح تلك العناصر الفنّية من وجهات نظر مختلفة، استعنّا بالمنهج الوصفي وآلياته كالتحليل والتفسير، كما استندنا في بعض المحطات بالمنهج الأسلوبي حسب ما اقتضت إليه الضرورة، وذلك لكونه منهجا حداثيا يتعاطف مع السياق، حتى نوضح أدبيّة النّص القرآني عبر تفسير وقراءات ريادية تهتم بتسليط الضوء على معاني وجماليات الأساليب القرآنية، الّتي أسيء فهمها وبقيت مهمشة، تستدعي الإطلاع والتدقيق والتفسير وتستقطب أصواتا حوارية جوهرية مختلفة الرؤى، وهذا يتلائم مع طبيعة الدراسة (الموضوع) كما وجدنا عدة دراسات تطرقت إلى موضوع الأدبية في الخطاب القرآني منها:

* "رياض بن يوسف": "أدبية السرد القرآني مقاربة من منظور علم السرد"، رسالة دكتوراه، جامعة قسنطية، السنة الجامعية 2010/2009.

* "محمد طول": "أسلوب السّرد القصصي في الخطاب القرآني"، رسالة ماجيستير، جامعة تلمسان، السنة الجامعية 1988.

* "آمنة عشاب": "الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني"، سورة يوسف –أنموذجا– رسالة ماجستير، جامعة الشلف، السنة 2007/2006.

وكأي بحث أكاديمي لا يخلو من صعوبات وعراقيل فقد واجهنا بعضا منها نذكر في مقدمتها نقص المراجع الأدبية كموضوع أدبي يتحاشى الكثير من المفكرين خوض غماره،

خاصة أدبيّة الخطاب القرآني، عدا توفر مقالات معدودة تطرح هذه القضايا بإيجاز وسطحية، أضف إلى ذلك تعدد تفاسير القرآن الكريم لذلك يُخشى من تحليلها وفقا لسياقات مختلفة، هذا إلى جانب كثافة المادة الّتي فاضت عن حدود البحث وصعوبة التحكم فيها .

ولقد استندنا في بحثنا هذا إلى مجموعة من المصادر والمراجع ساعدتنا كثيرا في الوصول إلى النتائج المرجوة، أبرزها:

ـ "قصص الأنبياء:" لـ"أبي الفداء إسماعيل بن كثير".

"أسرار ترتيب القرآن:" لـ"حافظ جلال الدين السيوطي".

"الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السّرد الإعجازي:" لـ"سليمان عشراتي".

"قصص القرآن الكريم دلاليا وجماليا": لـ"محمود البستاني".

أخيرا وليس آخرا وجب علينا أن نحيل ناتج هذا الجهد والعمل إلى صاحبة الفضل، بعد الله سبحانه، الدكتورة الفاضلة "**جنّات زرّاد**" على ما بذلته معنا وما تكبّدته من تعب وما أفادتنا به من نصائح وتوجيهات تصبّ في صميم البحث، فلها منّا جزيل الشكر وجميل العرفان والتقدير، أدامها الله في خدمة العلم "لن ننسى وقفتكم معنا "**دكتورة زرّاد**".

المدخل:

بين النّص القرآني والخطاب القرآني

I. مفهوم القصة.

1- القصّة لغة.

2- القصّة اصطلاحا.

II- علاقة النص القرآني بالخطاب القرآني.

1- مفهوم النص القرآني.

2- مفهوم الخطاب القرآني.

I. مفهوم القصة:

تعتبر القصّة من أهم الأساليب القرآنية، الّتي كان لها تأثيرا بالغا في شرح تعاليم الدين الإسلامي، وتبيان رسالته السماوية، فاعتبرت تاريخيا للأمم السابقة وأخبارا للرسل والأنبياء، كما أنّها تساعد المتلقي في التفاعل مع النّص القرآني، ويقول الله تعالى:﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾سورة الأعراف/الآية:176؛ فالغاية والغرض من إيراد القصص القرآني، هو التّدبروالتفكر، وأخذ العبر منه، وأهدافه السامية ومقاصده العالية، وحكمه البليغة، يجد فيها المتلقي طرقا مثلى لتهذيب النّفس البشرية، وحثها على تقصي أثر السلف الصالح، والاقتداء به، وقبل التطرق لدراسة أدبيّة الحدث القصص في الخطاب القرآني، وجب أن نعرّج أولا على المفاهيم اللغويّة، والاصطلاحيّة للقصة عموما، ثمّ القصّة القرآنية خصوصا.

1- القصّة:

أ. لغة:

ورد في لسان العرب: «القاص إذا قصّ القصص والقصّة معروفة، ويقال في رأسه قَصّةٌ، يعني الجملة من الكلام، ونحوه قوله تعالى:﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ سورة يوسف/الآية:03؛ أي نبيّن لك أحسن البيان والقاصّ الذي يأتي بالقّصة من فصّها، ويقال: قصصت الشّيء إذا تتبعت أثره شيئا بعد شيء ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ﴾سورة القصص/الآية:11؛ أي اتّبعي أثره... القصّة: الخبر وهو القصص، وقصّ عليّ خبره يقصّه قصاّ وقصصا: أورده. والقصص: الخبر المقصوص، بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه. والقصص: بكسر القاف: جمع القصّة الّتي تكتب، وفي حديث غسل دم الحيض: فتقصّه بريقها، أي: تعضّ موضعه من الثّوب بأسنانها وريقها ليذهب أثره، وكلامه: حفظه، وتقصص الخبر تتبعه. والقِصَّة: الأمر والحديث. واقتصصت الحديث، رويته على وجهه[1]»، فالقصّ في اللّغة لا يخرج عن تتبع الأثر وتقصّيه، وهذا ما أكّدته أغلب المعاجم العربية القديمة.

---

(1)- أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، مج12، دار صادر، بيروت -لبنان- ط1، 2000 م، ص 120، مادة (قَصَصَ).

على غرار قاموس المحيط، حيث يقول صاحبه: «قصّ أثره قصّا وقصيصا تتبعه والخبر أعلمه ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ سورة الكهف/الآية:64؛ أي: رجعا من الطّريق الّذي سلكاه يقصّان الأثر ﴿ٱلۡقَصَصِۖ﴾ سورة يوسف/الآية:03، نبيّن لك أحسن البيان، والقاص من يأتي بالقصّة[1]»، ومن هنا تنحو المعاني اللغويّة العربية القديمة، نحوا واحدا في تحديد دلالات جذر قصّ، ممّا جعلها لا تختلف في كونها تدل على تتبع وتقصّي الأثر، وحفظ الكلام ورواية الحديث.

بينما أضافت المعاجم العربية الحديثة دلالات جديدة للقصّ، مثلما ورد في معجم الوسيط: «(القصّة): الّتي تكتب- و- الجملة من الكلام- و- الحديث- و- الأمر- و- الخبر- و- الشّأن- وحكاية نثريّة طويلة تُستمدّ من الخيال أو الواقع، أو منهما معاً، وتُبنى على قواعد معيّنة من الفنّ الكتابي[2]»، والملاحظ من هذا التّعريف أنّه أضاف معاني حديثة للقصّة، تنصب في السّرد والأخبار كفنّ أدبيّ نثريّ له قواعده وقائم بذاته.

وفي تفسير "فخر الدّين الرّازي" للآية: ﴿ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾ سورة يوسف/الآية:03 يقول: «القصص إتّباع الخبر لبعضه بعضا، وأصله في اللّغة المتابعة، وقال تعالى:﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ سورة القصص/الآية:11؛ أي: اتّبعي أثره، قال تعالى: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ أي: إتّباعا وإنّما سمّيت الحكاية قصّة، لأنّ الّذي يقصّ الحديث يذكر القصّة شيئا فشيئا»[3] ويؤكّد الرّازي هنا على العلاقة الوطيدة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للقصّة، حين ربط بين الإثنين باستعمال لفظ حكاية للدلالة على القصّة كجنس أدبي.

ممّا تقدم نجد أنّ المعاني اللّغويّة والمعاني الاصطلاحيّة للقصّة، ترتبط ارتباطا وثيقاً بتقفي الخبر وتقصّيه ورواية الحديث.

---

(1)- مجد الدين محمد يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تج: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، دار الرسالة، دمشق- سوريا- ط6، 1998، ص 627 (قصص).

(2)- مجمع اللغة العربية: الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية -مصر- ط4 2004م، ص 240.

(3)- محمد الرازي فخر الدين: التفسير الكبير، ج2، دار الفكر، بيروت -لبنان- ط1، 1981م ص 170.

ب- القصّة اصطلاحا:

تحضر القصّة كفنٍّ أدبيّ، في جميع الأزمنة والأمكنة للمجتمعات الإنسانيّة كلها حيث بدأت، وتشكلت مع تاريخ الإنسانيّة نفسه، والشيء المؤكد أنّه لا يوجد شعب دون قصّ، فلكل جماعة بشريّة قصصها الخاصّة بها، وغالبا يكون تذوق تلك القصص جماعيّا مشتركا، أو حتّى من خلال ثقافات أخرى مختلفة ومتناقضة، تماما مثلما قام المستشرقون الغرب بدراسة القصّة في التّراث العربي، كما تعدّ القصّة من أكثر الأجناس الأدبيّة رواجاً في حقل دراسات الأدب، لذلك لم يتّفق الباحثون والدّارسون على مفهوم جامع مانع لها، وإنّما تعدّدت وتباينت مفاهيمها من باحث لآخر.

يعرّفها "يوسف نجم" في كتابه" فن القصّة" بقوله: «القصّة مجموعة من الأبحاث يرويها الكاتب، وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدّة، تتعلق بشخصيات إنسانيّة مختلفة، تتباين أساليب عيشها وتصرّفها في الحياة، على غرار ما تتباين حياة النّاس على وجه الأرض، ويكون نصيبها في القصّة متفاوت من حيث التّأثر والتّأثير»[1]، وهذا يعني أنّ القصّة مجموعة من الوقائع والأحداث الّتي يسّردها المؤلف، تتناول حياة الأفراد وأفعالهم المختلفة من شخص لآخر، وفق سيكولوجيّاتهم، ومستوياتهم الفكريّة والنّفسية، والثقافيّة والإجتماعيّة...، كما يختلف أيضا دور ووظيفة كل فرد في القصّة ممّا يجعل أثرهم وتأثيرهم فيها متفاوتا بينهم.

كذلك يعرّف "سعيد علّوش" القصّة بقوله: «عالم سيميائي، يعتبر موضوعا للمعرفة ويقوم على تمفصل العناصر، نسيج سردي يختزل الخطاب إلى منطق أفعال ووظائف ملغيا بذلك أزمنة ومظاهر وأنماط القصّة، كما يوضح ذلك (تدوروف) و(بارث)»[2]، ويعني بهذا أنّ القصّة فضاء دلاليّ شامل للعلوم والمعارف، قائم على ترابط وتداخل وانسجام كل من الأحداث والوقائع والشّخصيات والزمان والمكان والحبكة والصّراع والحل، أي أنّها عبارة عن سبك سردي يِختزلُ مجملا في الأشخاص والأقوال والأفعال والوظائف، كما أوضح ذلك

---

(1)- محمد يوسف نجم الدين: فن القصة، دار الثقافة، بيروت- لبنان- ط5، 1965م، ص 09.

(2)- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبيّة المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، دار الكتاب اللبناني، بيروت -لبنان - ط1، 1985 م ص 180.

"تدوروف" "Tzvetan todorof" " الّذي يعتبر أنّ: «دراسة السّرد من حيث هو قصّة تعني دراسة منطق الأفعال الروائية، إذ أنّ تتالي الأفعال لا يكون اعتباطيّا في سرد ما، وهذه الأفعال تقوم بها شخصيات ينبغي كذلك دراسة العلاقة فيما بينها»[1]، وذلك أن "تدوروف" يركز في دراسته على قيمة التسلسل المنطقي للأحداث كشرط أساسي للقصّة بوصفها جنساً أدبيّاً.

كذلك يذهب "بارث" "karl barth" إلى اعتبار«أنّ إشارة الكاتب القاصّ إلى شيء ما بصورة عابرة في الحكي، لابدّ أن يكون لها معنى فيما سيأتي من الحكي، وينبغي دائما أن ننتظر أن يكون لذلك الشيء دورا فيما يأتي من بقية الحكي»[2]، وفقا لما ذكر يركز "بارث" في دراسته للقصة على أهمية وظيفة كل وحدة من الوحدات المكونة للمتن القصصي، بغض النظر عن تركيز الكاتب على تلك الوحدة أو إهماله لها، كون أهميتها تكمن في الدور الذي يلعبه ضمن أحداث القصّة من بدايتها إلى نهايتها.

يضيف: "سعيد علوش" في تعريفه للقصة قائلاً: «القصة وصف أفعال عبر حكايات سرديّة ويظهر الخطاب القصصي، على مستوى السطح، كخطاب مؤقت حين تميز البنيات السيما– سرديّة كأشكال تنظيم عميق وعام، عن البنيات الخطابية كطابع لطرق القص»[3] بمعنى أن القصّة عبارة عن حكاية سرديّة تصف الأفعال، حيث ترتكز في متنها على ترابط تلك الأفعال وفق منطق خاص بها فيبدو تسلسلها– في السّرد القصصي– تسلسلا محكوما بطابع الضرورة، لأن الشخصيات تتحرك نحو غاية، ثمّ تظهر معيقات تعترض طريقها، ثمّ يصلون إلى حل لتلك الصعوبات، فتكون نهاية السرد.

كما أنّ الخطاب القصصي في ظاهره كلغة، لا يكفي لإدراك المعنى الكامن خلف عملية القصّ حيث أن المعنى الذي نقرأه في سطور القصّة ليس بالضرورة هو المعنى المقصود، وإنمّا تعمل البنيات السيمائية السردية، الّتي تخترق النظام التركيبي للغة على

---

(1)– محمد خضر: سرديات الخطاب القرآني، بلاغة السّرد القصصي في القرآن الكريم، خطاب القرآن في سورة الرحمان ج1، دسوق –مصر– ط1، 2015م، ص16.

(2)– حميد لحميداني: بنية النّص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء –المغرب–، ط1، 1991م، ص29.

(3)– سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبيّة المعاصرة، ص180.

إيضاح المعنى الخفي فنحن لا ندركه إلاّ من خلال تحليل العلامات والرموز، والدلالات، المصرح بها في الخطاب للوصول إلى المسكوت عنه أواللاّمنطوق، أو ما وراء تلك السطور المقروءة.

ومّما لا شك فيه أنّ: «العناصر الأساسيّة الّتي لا تخلو منها أيّة قصة بوجه عام هي: الشخصيات، الحوار، والصراع، والعقدة، والحبكة، والزمان، والمكان، والخيال»[1]. وهي الوحدات الرئيسية الّتي تشكّل القالب السردي القصصي وتتحكم فيه من حيث السيرورة والحدث.

وفقا للإنشقاق اللغوي والمعاني الاصطلاحية الّتي ذكرناها للقصة، يتضح لنا أنّها وسيلة تعبير بشرية عن طريق سرد أخبار، وتتبّع آثار، وتقصي أحداث في قالب نثري متسق ومنسجم الأجزاء بتوفر العناصر الأساسيّة الّتي يحدّدها كجنس أدبي.

(1)- أسامة محمد العظيم حمزة: القصص القرآني وأثره في استنباط الأحكام، دار الفتح -مصر- ط2، 2008م، ص13.

II- علاقة النّص القرآني بالخطاب القرآني:

طالما أثار القرآن الكريم في العرب الدهشة والانبهار منذ نزوله، كونه آية وبرهان على نبوّة سيّد الخلق محمد صلّى الله عليه وسلم، فعجزوا عن مجاراة لغته وبلاغته وفنيّته وأساليبه ودقة تصويره وإيقاعه، وقدرته الفذة على الإقناع العقلي، والإمتاع الوجداني، ممّا جعلهم يحاولون سبر أغواره وتقصّي أعماقه، إذْ ما انّفكت الأبحاث والدراسات التفسيريّة والتأويليّة، والعلميّة والجماليّة، تبحث في سرّ إبهاره وأسره للقلوب والعقول معاً.

حيث كانت بداية الدراسات القرآنية، بأبحاث تفسيريّة منذ القرون الأولى بعد البعثة مع جمهور الفقهاء، والمفكرين واللغويّين، ثمّ توالت الدراسات وتعددت باختلاف رؤى ومناهج الباحثين، وتباين خلفياتهم الثقافيّة والمعرفيّة ومن هذه الأبحاث ما توصل إليه المفكرون المعاصرون من أسس نظرية حديثة لتحليل الخطاب القرآني، حيث فرّقوا بين النّص القرآني والخطاب القرآني، وفقا لاستفاداتهم من المناهج النقديّة الحديثة والمعاصرة.

بناءاً على ما سبق نستعرض فيما يلي مفهوم "النص القرآني" و"الخطاب القرآني" ثمّ الفروق الجلية بينهما:

1- مفهوم النّص القرآني:

يتميز القرآن الكريم بسمات خصوصية حيث«يطرح إشكالية التصنيف (ليس له شكل محدود ولا ينتمي إلى أيّ نوع من أنواع الكتابة المألوفة)، ليس له بؤرة مركزية، (بل يتضمن بؤرا لا نهاية لها) وهو بلا بداية أو نهاية (له فاتحة ولكن ليس له بداية أو نهاية بالمعنى المألوف)، يقبل تأويلات لا حصر لها»[1]، ومن هذا المنطلق نرى أن النّص القرآني لا يخضع للتصنيفات البشرية الوضعية للنصوص والخطاب، كون بنيته اللاّخطية تتميز بشبكة متفرعة من المواضيع، لذلك لم تكن سوره متسلسلة منضمة لبعضها.

(1)- عبد الله خضر حمد: الإنزياح التركيبي في النّص القرآني دراسة أسلوبية، دار البازوري عمان، الأردن، ط1، 2018 ص83.

فلقد نزل القرآني الكريم على الرّسول صلّى الله عليه وسلم منجما طيلة البعثة لمدة ثلاثا وعشرين سنة، ثمّ خضع لمحاولات جمع وترتيب عديدة إلى أن استقر المصحف الشريف بنسخته الرسمية على يد عثمان بن عفان – رضي الله عنه –، إذ تمّ ترتيب السور فيه ترتيبا توقيفيا[1]، كما تولاه النبي صلّى الله عليه وسلم في حياته بأمر من الله عن طريق الوحي.

ظلّ الدّارسون والباحثون المعاصرون يتعاملون مع القرآن على أنّه نص استنادا إلى عملية تدوينه وجمعه في مصحف، يقول "أدونس": «ربما أثارت عبارة (الكتابة القرآنية) تساؤلا، ذلك أنّ القرآن نزل وحيا وبُلّغ شفويا والكتابة عمل إنسانيّ، قام به أشخاص كُلّفوا به، والجواب عن هذا التساؤل هو أنني أتحدث عن النّص القرآني كما دون، استنادا إلى سماعه من ناقله النبي الذي سمعه مباشرة من الوسيط بينه وبين الله: الملاك جبرائيل، ممّا تجمع عليه الروايات كلها»[2]، أي أنّ "أدونيس" يبحث القرآن بوصفه نصا بعد إنتقاله من المشافهة إلى التدوين.

فهو يقرأ النّص القرآني باعتباره «نصاً يجمع في بنيته أشكال الكتابة جميعا، كأنه أعاد الأبجدية إلى فطرتها، قبل الكتابة، وفي ما وراء الأنواع الكتابية ولغته ليست مجرد مفردات وتراكيب، وإنّما تحمل رؤيا معينة للإنسان والحياة وللكون أصلا وغيبا ومآلا»[3]، إنّ الاتساق العام للنص القرآني يجعله متميزا منفردا عن غيره من نّص البشرية، كونه بالغ الدقة في الأداء، فلغته عالية ينفرد فيها الحرف والمفردة والتركيب بدلالتهم وموضعهم الخاص الذي يرمي إلى تصوّر معين للوجود والكون.

---

(1)– ينظر: الحافظ جلال الدين السيوطي: أسرار ترتيب القرآن، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطاء، مرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة، القاهرة –مصر– ط1، 2002م، ص، ص4، 5.

(2)– علي أحمد سعيد (أدونيس): النّص القرآني وآفاق الكتابة، دار الكتاب العربي، القاهرة–مصر– ط1، 1993، ص20.

(3)– عبد الله خضر حمد: الإنزياح التركيبي في النّص القرآني دراسة أسلوبية، ص83.

فالنّص هنا يقصد به «كل خطاب تمّ تثبيته بواسطة الكتابة... إنّ تعاملنا مع الخطاب القرآني كنص يعني تناولنا للسرد القرآني وفق الذي ورد عليه في المصحف»[1]، أي أنّ النّص هو المدوّنة الّتي كانت قبل تدوينها خطابا.

فإشكاليّة دراسة النّص القرآني لم تكن في مستوياته، ولكنها« بدأت تظهر مع ظهور المنهج النّصاني، ومحاولة تطبيقه على القرآن من قبل بعض المثقفين والنقاد وإخضاعه لشروط النظرية النّصية، والادّعاء بأنّ القرآن (نص) بالمفهوم الحديث والمعاصر للنّص وأنّه يشّتمل على وظائف الاتصال الّتي عدّدها "جاكبسون"، ومعايير النّصانية الّتي حدّدها دويجراند»[2] نستخلص من هذا القول أنّ الدراسات القرآنية الحديثة والمعاصرة وقعت في معضلة إخضاع القرآن الكريم لشروط النظرية النّص ية لـ"دويجراند" "robert de beaugrande".

التي تنص على معايير سبعة تتمثل في:

أ- **الربط النحوي:** ويتعلق بكيفية ربط مكونات النّص السطحي أي الكلمات.
ب- **التماسك الدلالي:** ويعني به الوظائف الّتي تتشكل من خلالها مكونات النّص.
ج- **القصدية:** وهي الهدف من النّص.
د- **المقبولية:** تتعلق بموقف المتلقي الذي يُقرّ أن التركيبات اللغويّة مقبولة لديه.
هـ- **الإخبارية:** تتعلق بتوقع المعلومات الواردة في النّص.
و- **الموقفية:** تتعلق بتناسب النّص مع الموقف أي علاقة النّص بالمقام.
ز- **التناص:** يختص بالتعبير عن تبعية النّص لنصوص أخرى[3].

كما حاول أيضا النّقاد المعاصرون تطبيق المخطط التواصلي لـ"رومان جاكسون" "roman jackobson" على النّص القرآني والذي ينص على ستة وظائف تواصلية تتمثل في:

---

(1)- رياض بن يوسفي: أدبيّة السّرد القرآني مقاربة من منظور علم السرد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، السنة: 2009 م، 2010م، ص28 (أطروحة دكتوراه).

(2)- عبد الله خضر حمد: الإنزياح التركيبي في النّص القرآني دراسة أسلوبية، ص 86.

(3)- ينظر: سعيد حسن البحيري: علم لغة النّص، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، بيروت، -لبنان- 1998م، ص 26.

أ- **المرسل:** وظيفته إنفعاليّة.

ب- **الرسالة:** وظيفتها شعريّة.

ج- **المرسل إليها:** وظيفته إفهاميّة.

د- **السياق:** وظيفته مرجعيّة.

هـ- **القناة:** وظيفتها إنتباهيّة.

و- **السنن:** وظيفته ميتالسانيّة[1].

لم ينته الجدل القائم بشأن ماهيّة القرآن الكريم، إذا ما كان يعتبر نصا بصيغته النهائية المغلقة؛ أم أنّه يعتبر خطابا في شكله اللغوي الذي يتجاوز الجملة؛ «فالبحث عن مفهوم ((النص)) ليس في حقيقته إلاّ بحثا عن ماهيّة ((القرآن))، وطبيعته بوصفه نصل لغويا، وهو بحث يتناول القرآن من حيث ((هو كتاب العربية الأكبر، وأثره الأدبي الخالد))، فالقرآن كتاب الفنّ العربي الأقدس، سواء نظر إليه الناظر على أنّه كذلك في الدين أم لا»[2]، وفقا لذلك فإن دارسي النّص القرآني بحثوا عن ماهيته وطبيعته، كونه القرينة الدالة على الأمة العربية الّتي جعلت منه مرجعها المقدس.

لكن هذه الأبحاث، كما رآها "نصر حامد أبو زيد" «على أهميتها الثقافية كانت تتم من منطلق تصوّر ديني للنص صاغته اتجاهات الفكر الرجعي في تيار الثقافة العربية الإسلامية، وهو تصوّر أقل ما يقال عنه الآن أنّه تصوّر يعزل "النص" عن سياق ظروفه الموضوعية التاريخية، بحيث يتباعد به عن طبيعته الأصلية، بوصفه "نصا لغويا"، ويحوّله إلى شيء له قداسته بوصفه شيئا، كان القرآن قد تحوّل إلى "مصحف"، إلى أداة للزّينة»[3]، إستنادا إلى القول يرى "نصر حامد أبو زيد" أنّ المصحف تشكّل في الثقافة العربية، حيث أن النّص القرآني أثر فيها، إما بتعديلها أو تغييرها، أو إقرارها، فكان تفاعل المتلقي مع القرآن في القرون الأولى للبعثة، تفاعلا خلاقا، عن طريق تجسيد تعليماته وتوجيهاته.

---

(1)- ينظر: حسن ناظم: مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول والمناهج والمفاهيم، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، بيروت، -لبنان- ط1، 1994 م، ص ص90، 91.

(2)- نصر حامد أبو زيد: مفهوم النّص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، -المغرب-، ط1، 2014م، ص10.

(3)- المرجع نفسه، ص12.

غير أنّ التّيارات الفكرية السائدة منذ نهاية القرن الثاني للهجرة، خاصة منهم طوائف المتكلمين جعلوا المصحف مقدسا، من خلال أبحاثهم الّتي عزّلت النّص عن سياق ظروفه الموضوعية التاريخية، ممّا أحدث بذلك قطعية بين المتلقي والنص، فتفاعل المتلقي الآن مع النّص تفاعل سلبي، إمّا انقطاع نهائي، أو مجرد القراءة والحفظ والتبرك والتقديس، وهكذا صار المصحف أداة للزّينة.

من جهة أخرى ذهب النّاقد "أمين الخولي" إلى وجوب دراسة القرآن بوصفه نصاً دراسة تطبيقية حيث تكون «الخطوات المنهجية في هذا النوع ضمن إحساس عميق بأهمية النظام داخل البنية اللغويّة، فالخطوة الأولى تبدأ في النظر في المفردات، بحيث يراعي عند هذا النظر قضية الظواهر النّفسية والإجتماعية، وعوامل حضارة الأمة وما إلى ذلك ممّا تعرضت له ألفاظ العربية[1]»، إذ أنّه لابد على دارس النّص القرآني مراعاة أهمية النظام داخل البنية اللغويّة، فلا يفصل النّص عن سياقاته الخارجية، ولا يتجاوز المفردة في معناها الدلالي السائد لدى الأمة العربية بالتزامن مع نزول القرآن الكريم، وفي معناها المتجدد مع مرور الزمن.

من خلال ما تقدم يتضح لنا أنّ مفهوم النّص القرآني، لدى الباحثين المعاصرين ظل موضع إشكال واختلاف، ولم يجتمعوا على مفهوم جامع مانع له، فهناك من يرى أنّه يتلخص في المصحف بصيغته النهائية المغلقة، وهناك من اعتبره يتمثّل في إخضاع القرآن الكريم لمفاهيم النّص الحديثة والمعاصرة، كما تؤكد عليه النظرية النّص يّة "لدوبجراند"، والنظريّة التواصليّة "لجاكبسون".

بينما ذهب آخر إلى اعتبار النّص القرآني بصيغته المدوّنة في المصحف قد أخضعه الفكر الرجعي في الثقافة الإسلامية لمنطق التقديس، الذي تسبب في إحداث قطيعة بينه وبين المتلقي، ممّا جعله مجرد أداة للزينة، بالإضافة إلى ذلك رأينا من اهتم بضرورة ربط النظام داخل البنية اللغويّة للنص القرآني، بالسياقات الخارجية المتناسبة مع الظروف التاريخية والإجتماعية، والنّفسية لنزوله.

---

(1)– عمر حسن القيّام: أدبيّة النّص القرآني بحث في نظرية التفسير، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت –لبنان– ط1، 2011م، ص، ص 57،58.

2- مفهوم الخطاب القرآني:

يعتبر الخطاب مصطلح عابر للتخصصات فهو شائع في النظريات النقدية، وفي علم اللغة، وفي علم الاجتماع، وعلم النّفس، والفلسفة، وما إلى ذلك من المجالات المعرفية، حتى أنّه صار يترك دون تعريف، وكأنه مسلمة، كذلك اقتحم هذا المصطلح مجال الدراسات القرآنية، وترك أثره الجلي فيها، إذ أنّه ارتبط بالقرآن ارتباطا مباشرا، ممّا أنتج لنا مصطلحا نقديا جديدا، وهو الخطاب القرآني، الذي اختلف الباحثون والدارسون منذ القدم في تحديد تعريف جامع مانع له، خاصة حديثا مع تطور النظريات النقديّة المعاصرة.

إذ يجسد الخطاب «جملة من المنطوقات أو التشكلات الّتي تنتظم في سلسلة معينة لتنتج – على نحو تاريخي- دلالة ما، وتحقق أثرا متعينا، ويخلق الخطاب تفاعلا حواريا مع المجال الاجتماعي الذي يعد مهدا لتلقي موضوعه، فيتجادل مع غيره من الخطابات ويشتبك مع وعي المخاطبين في محاولة لدفعهم إلى حقل قناعته»[(1)]، إذا فالخطاب، هو عملية تلفظ بمنطوقات متسلسلة في نظام معين، بغية إنتاج معان محددة لترك أثر في المتلقي، كما أنّه يتجادل مع الثقافات السائدة، في المجتمعات المتوجه إليها بغرض إقناعهم، وجذبهم لصرحه الإيديولوجي الجديد.

مثلما نزل القرآن الكريم خطابا موجها للأمة العربية، يسعى لتغيير الثقافة الجاهلية السائدة بما جاء به من تعاليم ومبادئ وقيم، ومن هنا ذهب العديد من الباحثين إلى اعتبار القرآن الكريم، في مرحلته الأولى خطابا لأنه كان متداولا شفاهيا بالحفظ، والقراءة، والترتيل قبل تدوينه في المصحف، استنادا إلى أن الخطاب في أبسط تعريفاته هو: «تواصل شفاهي حديث، حوار»[(2)]، كما نجد من الباحثين من استخدم مصطلحي الخطاب القرآني والنص القرآني للدلالة على نفس المفهوم دون تفريق بينهما، ويقصدون بهما القرآن الكريم المدوّن في المصحف.

---

(1)- وليد منير: النّص القرآني من الجملة إلى العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة – مصر –، ط1، 1997 م، ص17.

(2)- سارة ميلز: الخطاب، تر: عبد الوهاب علوب، المركز القومي للترجمة، القاهرة – مصر–، ط1، 2016 م، ص 13.

مثلما ذهب "وليد منير" إلى استخدام مصطلح الخطاب القرآني، للدّلالة على النّص بوصفه خطابا موجها للعالمين بغرض إفهامهم وإقناعهم باعتناق الدين الإسلامي الحنيف يقول: «الخطاب القرآني يمتلك قدرا كبيرا من تأثيره النافذ عبر تمثيله لعاطفة التجاوز عن الضعف الإنساني في حدود معينة، إنّ العادة تمثل قوة طاغية، ويتوقف امتصاص هذه القوة على تمكن الخطاب من بث قيمه الجديدة رويدا من خلال سياسة طويلة المدى، نستطيع أن نرى في الخطاب القرآني، إذن (مخططا قصدياً) لاحتواء الآنية التاريخية في كليته الشاملة»[1]، أي أن الخطاب القرآني له قدرة فذة على الإقناع، بتجاوزه للحظات الضعف الإنساني، فالتعود على السير في نسق ثقافي معين، يخلق حميّة وتعصبا لهذا النسق السائد.

ويمكن للخطاب أن يكسر خطية الثقافات المناوءة له، في المجتمعات تدريجيا على المدى الطويل، بالضبط كما أثّر القرآن الكريم، بوصفه خطابا موجها بقصد زرع ثقافة الدين الإسلامي، في مختلف المجتمعات الإنسانية، في كل زمان ومكان.

من جهة أخرى يرى النّاقد "لطفي فكري محمد الجودي" أنّ «الخطاب القرآني خطاب إلاهي معجز، ومن ثمّ يمتلك من الأدوات ما يجعله مؤهلا – بشكل دائم – لأن يكون من أهم الوسائل التعبيرية التواصلية القادرة على استيعاب الأنساق الحضارية، أنّه رسالة ربانية لكل الناس دون تحيز أو طائفية، أو جغرافية معينة، فهو خطاب هداية وخير، وهذه الخيرية لم تكن فيه امتيازا لطبقة أو طائفة دون أخرى بل جاءت عامة... ينعم بها كل بني البشر»[2]، بمعنى أن القرآن الكريم عبارة عن خطاب عالمي يخص المتلقي في كل مكان وزمان، بغض النظر عن جنسيته، ووطبقته، وانتمائه الفكري، والاجتماعي والسياسي، لامتلاك القرآن القدرات والمؤهلات المبهرة الّتي من خلالها استطاع استغراق عموم الناس وملائمة الفطرة البشرية.

في ذات السياق ذهب "محمود عكاشة" إلى أن المراد بالخطاب القرآني الدلالات الّتي دل عليها القرآن الكريم، من حيث المفهوم والفحوى والظاهر والإشارة، فهو أعم من النّص

---

(1)– وليد منير: النّص القرآني من الجملة إلى العالم، ص18.

(2)– لطفي فكري محمد الجودي: جماليّة الخطاب في النّص القرآني "قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين"، مؤسسة المختار، القاهرة –مصر– ط 1، 2014م، ص93.

وأوسع، وإن كان المراد بالخطاب القرآني اللّفظ نفسه، فهو النّص القرآني[1]، وهذا يعني أن مفهوم الخطاب القرآني بالنسبة له يتجاوز النّص في بنيته اللغويّة، إلى ما وراء النّص من أغراض وأهداف ومقاصد، أمّا النّص القرآني فهو الألفاظ والمفردات والتراكيب اللغويّة المكونة للخطاب.

إنّ الخاصية الّتي يتميز بها القرآن الكريم من انفتاح على تفسيرات لا حصر لها، واتساعه ليشمل مختلف المجالات المعرفية، فرضت على الباحثين والدّارسين المعاصرين قراءاته قراءة مناسبة للظروف الفكرية، والسياسية، والثقافية، والإجتماعية الراهنة.

انطلاقا من هنا سعى المفكر"محمد أركون" للاستفادة من المناهج النقديّة الحديثة، فهي دراسته للقرآن، حيث اعتبر أن "القرآن الكريم، أو "المصحف الشريف" مصطلحات محاطة بهالة من القداسة أضّفتها عليها الدراسات التّراثية للقرآن بوصفه نصا، إذ أنّ المفكرين والعلماء القدامى تركوا لنا كما هائلا من الكتب التراثية[2]، الّتي تعاملوا فيها مع القرآن بوصفه نصا، متجاوزين حقيقة أنّه ما زال يمارس وظيفته، في الحياة اليومية للمسلمين، بوصفه خطابا لا مجرد نص.

ويرى "أركون" في هذا الصّدد أنّ «الكتاب نفسه (أي الكتب الّتي سجل فيها الوحي الإلاهي) أصبح من خلال صيرورة تاريخية: "الكتابات المقدسة" وهذا يعني أنّه قُدِّسَ أو خلعت عليه أسدال التقديس بواسطة عدد من الشعائر والطقوس، والتلاعبات الفكرية الإستدلالية ومناهج التفسير المتعلقة بكثير من الظروف المحسوسة المعروفة، أو الّتي تمكن معرفتها وأقصد بها الظروف السياسية والإجتماعية والثقافية»[3]، الملاحظ من هذا القول أنّ المصحف تحول خلال فترات زمنية متعاقبة إلى كتاب مقدس من خلال طقوس القراءة، الّتي هدفها الحفظ والقراءة من أجل القراءة فقط، دون محاولة التّدبر والتأمل والفهم.

---

(1)- محمود عكاشة: تحليل خطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، دار المنهل، دبي – الإمارات العربية المتحدة – ط1، 2013م، ص 28.

(2)- ينظر: محمد أركون: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، تر: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت –لبنان- ط6، 2012م، ص 87.

(3)- محمد أركون: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، تر: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت – لبنان- ط2، 2005 م، ص 25.

تلك الطّقوس السّطحية تأسّست جراء تلاعبات فكرية إستدلالية، ممن أسماهم "أركون" بالسّلطة العقائديّة؛ ويقصد بهم الدّارسون الأوائل للنّص القرآني خاصة منهم علماء الكلام، في هذا الصّدد اقترح "أركون" مصطلح "الخطاب القرآني"، كحل بديل للقرآن الكريم، والمصحف الشريف، وذلك تفاديا للدلالات الاصطلاحية المشحونة بالتقديس.

من ناحية أخرى عرّف "محمد خصر" الخطاب القرآني بناءً على اختلاف التصورات النظرية المؤسسة لمفهوم الخطاب، حيث يقول أن، «إضافة الكلمة، ها هنا إلى القرآن (خطاب القرآن) تحسم جدلا كثيرا، وتقف بنا عند حدود قريبة، حين تدل على شبكة العلاقات اللّغويّة والسياقية الّتي تحكم آليات التواصل في النّص القرآني .... وتقترب الحدود أكثر حين لا تستطيع أن تعري الكلمة عن دلالتها الحوارية، فالخطاب القرآني رسالة لا يتصور أنّها تتم إلا بمُخَاطَبٍ مكرّم، عزّيز على الرحمان كما يدل على ذلك عموم الخطاب القرآني»[1]، أي أنّ القرآن الكريم يحمل رسالة، موجهة من الخالق عزّ وجلّ إلى المتلقي "الإنسان المكرم"، بغرض إقناعه والتّأثير فيه.

تُعرف هذه الآلية التّواصلية الموجودة في النّص القرآني، بين الخالق والمخلوق بالخطاب القرآني.

نستخلص ممّا سبق أنّ مصطلح "الخطاب القرآني"، مصطلح يكّتنفه الغموض، لذلك اختلف الباحثون في تحديد مفهومه، فمنهم من اعتبره دالاً يقصد به، القرآن في مرحلته الأولى الشفاهية، قبل جمعه في المصحف، ومنهم من زاوج في دراسته بين استعماله للمصطلحين، "الخطاب القرآني" و"النص القرآني" للدلالة على النّص بوصفه خطابا.

وهناك من وظّف المصطلح للتعبير عن السمات الخصوصية المميزة للقرآن في قدرته على الإقناع والتّأثير، بوصفه رسالة موجهة للعالمين في كل الأزمنة والأمكنة، كما نجد من اعتبر لفظ الخطاب القرآني أوسع وأشمل من النّص لانفتاح الخطاب على تفسيرات لا حصر لها، بينما ذهب باحث آخر لاستخدام "الخطاب القرآني" بدل النّص والقرآن والمصحف، لما

(1)– محمد خضر: سرديات الخطاب القرآني، بلاغة السّرد القصصي في القرآن الكريم، خطاب القرآن في سورة الرحمان، ج2، ص8.

تحمله هذه المصطلحات من دلالات قدسية، تحول دون الدراسة السويّة لمضمون الرسالة السماوية، ومن جهة أخرى **أُختير "الخطاب القرآني" كمصطلح للدّلالة** على الآليات التواصلية **التي** يتضمنها **النّص القرآني**.

في هذا الصّدد وقع اختيارنا على مصطلح الخطاب القرآني في بحثنا هذا، لما لمسناه من خصائص تميّز أسلوب العرض القصصي، في السّرد القرآني، من قصة إلى أخرى، ففي كل مرة نقرأ فيها قصة من القَصص القرآني، نجد أداءً منفردا، وخطابا جديدا مبهرا، يستحق منا عناء البحث والتقصي، لإبراز التّقنيات الأدبيّة والجمالية المتضمنة في الخطاب، من لغة، تراكيب وبناء، وكذلك من دلالات ومعان وظّفها القرآن في قصصه بغية جذب المتلقي وإقناعه.

الفصل الأوّل:

أهداف وسمات القصص القرآني

I. الأدبية والقصص القرآني:

1- مفهوم الأدبيّة.

2- أدبيّة الخطاب القرآني.

3- مفهوم القصص القرآني.

4- أهداف القصص القرآني.

II. بنية القصص القرآني وخصائصه:

1- أنواع القصص القرآني.

2- الخصائص الفنّية للقصص القرآني.

3- أنواع البني القصصي في القرآن.

أهداف وسمات القصص القرآني:

لطالما انبهر العرب بجمالية النّص القرآني بما يحمله من قصص، راق جذبهم بأسلوب عرضه ودقة تناسقه الفنّي وبمقاصده وعبره، إذ لم يعهدوا مثله من قبل، ممّا أثار لديهم حبّ البحث والتقصي في سرّ جماليته الأدبيّة الّتي عجزوا عن مجاراتها، ومن أجل ذلك لم يتوانوا لحظة واحدة في استنطاق النّص بما توصلوا إليه من آليات وإجراءات نقدية، وبالرغم من كل المحاولات والاجتهادات مازال هذا النّص السماوي الباهر ينطوي على أسرار علمية وأدبيّة لا يمكن لقدرات البشر أن تبلغها، ونحن اليوم مطالبون بقراءة القرآن قراءة حداثيّة بما يتماشى مع متطلبات عصرنا من نظريات ومناهج علّنا نستطيع استشراف جوانب جديدة، لم تصلها البحوث السابقة.

I. الأدبية والقصص القرآني:

وردت القصّة في القرآن الكريم في آيات عديدة من سوره، وأخذت مساحة كبيرة من فضائه وصيغت في قوالب فنية أدبيّة عالية، فهي مبنية على جمال بلاغي، وتوقظ الفطرة وتخاطب العقل والفكر وتحرك الوجدان والمشاعر، فهي مبنية على جمال بلاغي وذلك من أجل التّأثير في المتلقي، لها من الخصائص ما ليست لغيرها على الإطلاق، كونها لا تأتي اعتباطيا –لمجرد التسلية والاستمتاع – بل جاءت لتحقيق أهداف علمية وفكرية وتربوية.

هذا ما يقودنا إلى تساؤلات كثيرة أهمها: بما يتميز القصص القرآني؟ وفيما تتجلى أهدافه؟.

1- مفهوم الأدبية:

الأدبية مصطلح نقدي حديث النشأة، ظهر مع الشكلانيين الروس، الذين حاولوا وضع أساس علمي لنظرية الأدب، حيث سعوا لتخليص علم الأدب من الخلط السائد في الدراسات التقليدية، من خلال جعل موضوع الأدب هو الأدب في ذاته، مثلما يؤكد عليه "رومان

جاكسون" مبدع مصطلح الأدبيّة سنة 1919م[1]، عندما «حصر موضوع علم الأدب في دراسة الأدبيّة (littérarité)، ويعني هذا أن علم الأدب أو البويطيقا أو الإنشائية (politique) يدرس ما يجعل من الأدب أدباً؛ أي التركيز على وظيفة الأدب الّتي تتأسس على الوظيفة الجمالية أو الشعرية»[2]، ممّا يعني بذلك أن "جاكسون" اهتم بإبراز جماليّة الأدب، أو الخصائص المميزة للأدب عن باقي الخطابات، من خلال التركيز على الأثر الأدبي باعتباره مادة، وبناءً وشكلا، وقيمة مهيمنة.

انطلاقا من هنا تأسست الأدبيّة كمنهج نقدي غربي حديث، غير أنّ هذا المنهج يلتقي في بعض مبادئه مع ما أسسه النّقاد العرب قديما من نظريات في النقد القديم، فهم لم يستخدمو مصطلح "الأدبيّة"، بل استعملوا مصطلحات أخرى مقابلة له في المفهوم، مثل "حسن الدباجة" وسبق لهم وصف شعر النابغة الذبياني بأنّه «كان أحسنهم دباجة وأكثرهم رونق ماء»[3]، لكنّ الأمر الذي اختلف فيه النّقاد العرب والغرب على حدٍّ سواء هو تحديدهم لمفهوم جامع مانع للأدبيّة.

حيث أنّ كل ناقد عرفها من منظوره الخاص، وفق قراءته للنصوص الأدبيّة، ولعلّ أهمّ ما اتّفق عليه الباحثون قديما وحديثا، هو كون النّص الأدبي متميّز عن غيره من النّصوص بسمات خاصة، تجعل منه متفوقا على غيره من الخطابات، فتضفي عليه طابع الجمالية والفنية، «إن أدبيّة الأدب ترد الاعتبار للنقد الأدبي، وكذلك النّص الأدبي، بمعنى أنّها تنطلق من النّص فتبحث عن كلّ ما يجعل من نصٍّ ما نصا أدبيا، وكل ما يجعل من نقد ما نقدا أدبيا، وهي تعترف بقوة النّص وسلطته فترفض كل ما يبعدنا عنه بسبب إقحام الثقافة الخاصة»[4]، أي أنّ الأدبيّة تنطلق من النّص ذاته في بنيته التركيبية والدلالية بحثا عن

---

(1)- سمير بن نابت: مفهوم الأدبيّة في النقد المغربي القديم، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات جامعة الحاج لخضر، باتنة – الجزائر – السنة: 2011 م، 2012 م، ص15 (رسالة ماجستير).

(2)- جميل حمداوي: الشكلانية الروسية في الأدب والنقد والفن أسسها وتطبيقاتها، دار إفريقيا الشرق، (د.ب) ط1 2016م، ص45.

(3)- عبد المالك مرتاض: نظرية النّص الأدبي، دار هومة، الجزائر، ط2، 2010 م، ص60.

(4)- بيومي توفيق مصطفى: أدبيّة الأدب دراسة في نقاد النّص الشعري، دار الوراق، عمان – الأردن – ط1، 2015 م، ص17.

مواطن فنيته وجماليته، دون حاجة إلى ربطه بسياقاته الثّقافية، النّفسية، الإجتماعية والتّاريخية...

ويعرّف "سعيد علوش" الأدبيّة بقوله: هي «طابع ما هي خالص في الأدب، أي ما هو شاعري منذ بدايته»[1]، إذا فالأدبية حسبه تتعلق بما يميز الأدب ويجعله جذابا وشاعريا.

أ- عناصر الأدبية ومحدّداتها:

لطالما اختلف الباحثون قديما وحديثا، في تحديد خصائص الأدب ومميزاته الّتي تجعله منفردا عن الخطاب العادي، فالباحث في السمات المشتركة بين النّصوص الأدبيّة ليس بالأمر الهين حيث استهلك هذا الموضوع جهود الباحثين إلى أن توصلوا لمنهج علمي في نظرية الأدب، يضبط الخصائص الأدبيّة للعمل الفني، فعناصر الأدبيّة تنقسم إلى ثلاثة محاور سنوضحها في ما يلي:

أ-1- اللّغة:

تعتبر اللغة من أهم الخصائص المميزة للأدب عن الخطابات الأخرى، يقول "رولان بارت": «إن الأدب لا يكون أدبا إلاّ عندما يصبح إنجازا لغويا له نظامه الخاص المتميز وهو نفس مفهوم "تورودوف" عندما يؤكد على أنّ الأدب هو استعمال خاص للّغة»[2].

ومن هنا نلاحظ أنّ للأدب لغته الخاصة، «حيث تتحول عناصر اللغة من صفة الدّال على مدلول خارج عنه إلى وضع يتحول فيه الدّال نفسه إلى مدلول، فاللغة في النّص الأدبي تدل على نفسها وتلغي المدلول القديم للكلمات لتحل هي مكانه»[3]، وهذا يعني أن اللغة في النّص الأدبي تكسر تلك العلاقة المألوفة بين الدّال والمدلول، ممّا يخلق بذلك فجوة أو مسافة التوتر.

---

(1)- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبيّة المعاصرة، ص32.

(2)- نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبيّة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الجيزة – مصر – ط1، 2003م، ص381.

(3)- حسن ناظم: مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، ص، ص37، 38.

أي أنّ استعمال «الكلمات بأوضاعها القاموسية المتجمدة لا ينتج الشعرية، بل ينتجها الخروج بالكلمات عن طبيعتها الرّاسخة إلى طبيعة جديدة، وهذا الخروج هو خلق لما أسماه (أبو ديب) الفجوة: مسافة التوتر»[1]، من خلال ما تقدم نجد أنّ "كمال أبو ديب" يعتقد بوجوب خروج الألفاظ في النّص الأدبي عن المعاني المتعارف عليها، إلى معان جديدة غير متوقعة، تخلق فجوة بين الدّال والمدلول، فتحقق بذلك الشعرية.

إنّ لغة النّص الأدبي تختلف عن اللغة اليومية، فتنزاح فيها المعاني العادية للكلمات وتكسر أفق توقع المتلقي بخلقها لمعاني مبتكرة غير مألوفة، وهنا تكمن أدبيّة العمل الفنّي الأدبي.

أ-2- الصّورة الأدبيّة:

تعتمد أدبيّة العمل الأدبي على مدى براعة الأديب، وحنكته في حسن توظيفه للصور الأدبيّة، «فالصورة الأدبيّة هي تلك الظلال والألوان الّتي تجعلها الصياغة على الأفكار والمشاعر، وهي الطريق الذي يسلكه الشاعر والأديب لعرض أفكاره وأغراضه عرضا أدبيا، فيه طرافة ومتعة وإثارة»[2]، ومن هنا لا يمكن للأديب الاستغناء عن الصّورة الأدبيّة، لأنّها تضفي على التعابير رونقا وقوة، تجعل القارئ يحلق بخياله إلى عوالم خاصة، أراد المؤلف نقله إليها ليعيش الانفعالات والمشاعر المصاحبة للحدث الأدبي المصوغ في شكل صورة.

فالخطاب الذي لا يحتوي على الصّور الأدبية «هو خطاب تام الشفافية، ولذلك هو غير موجود /.../، فوجود الصور يساوي وجود الخطاب، وهذا ما يميزها ويبّرر وجودها»[3]، بناءا على ذلك فإن "تودوروف" يقرّ بأهمية احتواء النّص الأدبي على صور أدبيّة كونها القرينة الدالة على انتماء الخطاب للأدب، فأي خطاب خال من الصور، لا يعتبر أدبا بالنسبة إليه.

---

(1)- المرجع السابق، ص125.

(2)- صلاح الدين عبد التواب: الصورة الأدبيّة في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الجيزة – مصر- ط1، 1995م، ص، ص9، 10.

(3)- تزفيتان تودوروف: الأدب والدلالة، تر: محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب –سوريا-ط1، 1996م، ص100.

ومن هنا تكمن أهمية الصّورة الأدبية للنّاقد المعاصر «فهي وسيلته الّتي يستكشف بها القصيدة، وموقف الشاعر من الواقع، وهي إحدى معاييره الهامة في الحكم على أصالة التجربة، وقدرة الشاعر على تشكيلها في نسق، يحقق المتعة والخبرة لمن يتلقاه»[1]، وفقا لذلك فإن النّاقد الأدبي يعتمد على الصّورة الفنّية في تحليل القصيدة، وفي الحكم على التجربة الشعرية، ومدى تناسق تلك الصور مع البناء الكلي للقصيدة، الذي يحقق المتعة لدى المتلقي، إذ أنّ الأدبيّة تتأتى من خلال جودة الصور ودقتها.

أ-3- الإيقاع:

ينفرد النّص الأدبي، بإيقاعه الموسيقي الخاص الذي يضفي عليه لمسة جماليّة «فإذا كانت أبواب التشبيه والتمثيل والاستعارة والكناية تفسح المجال أكثر من غيرها لضروب التصوير الأدبي فإن الخيال ليس العنصر الوحيد في تكوين الصّورة الأدبيّة، فهناك العبارة الموسيقية، حيث لا ينكر دورها في مجال التصوير الأدبي»[2]، كون هذه الأخيرة تمنح الخطاب جرسا ونغمة تميزه عن باقي الخطابات العادية.

وقد أرجع "كولوردج" COLEIDGE" الإيقاع إلى عاملين «أوّلهما: التوقع الناشئ عن تكرار وحدة موسيقية معينة، فيعمل على تشويق المتلقي، وثانيهما المفاجأة أو خيبة الظن الّتي تنشأ عن النغمة غير المتوقعة، والتي تولد الدهشة لدى المتلقي»[3]، وهذا يعني أن النسق الذي يسير عليه المبدع في توظيفه للإيقاع الموسيقي، يخلق جماليّة ومتعة لدى القارئ، وعندما يكسر المؤلف ذلك النسق السائد بنغمة غير متوقعة، يخلق لديه الدهشة والفضول.

والعبارة الموسيقية تحتوي على خواص منها «جزالة الكلمة، وحسن جرسها، وسلامتها من العيوب البلاغية... مع الدقة في النظم، واختيار اللفظ وحسن مطابقة المعنى»[4]، ممّا

---

(1)- جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقديّة والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب- ط3، 1992م، ص8.

(2)- صلاح عبد التواب: الصورة الأدبيّة في القرآن الكريم، ص74.

(3)- سمير بن نابت: مفهوم الأدبيّة في النقد المغربي القديم، ص41.

(4)- المرجع السابق، ص74.

يعني أنّ العبارة الموسيقية لا تستقيم دون شروط تضبطها لتكون بذلك مظهرا من مظاهر أدبيّة النّص الأدبي، لأن الإيقاع «ليس إطارا كميا يقف عمله على رصف الألفاظ وترتيبها ترتيبا معينا وإلا لكان أصحاب المنظومات التعليمية أشعر الناس»[1]، إذ أنّ دور الإيقاع لا يتوقف على نظم الكلام في نسق خاص فقط.

بل إنّ للعبارة الموسيقية تأثيرها النّفسي العميق لدى كل متذوق للفن «وليس يخفى أنّ مادة الصوت هي مظهر الانفعال النّفسي وأن هذا الانفعال بطبيعته إنّما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مدا، أو غنة أو لينا أو شدة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه، وتتابعه على مقادير تناسب ما في النّفس من أصولها»[2]، نلاحظ ممّا تقدم أن الإيقاع يتناسب مع انفعالات النّفس البشرية وتقلباتها، فتنوع الصوت في الإيقاع نابع في حقيقته، من ما يخالج أعماق عواطف ومشاعر النّفس البشرية.

إنّ هذا التناسب القائم بين الإيقاع الموسيقي، في العمل الأدبي وبين انفعالات النّفس الّتي تنطبق على المتلقي أوالقارئ، تخلق أدبيّة فذة في العمل الفني.

لا يمكن للأدبيّة أن تتأتى من خلال عنصر واحد من العناصر المذكورة سلفا، اللغة والإيقاع، والصورة الأدبيّة، إنّما تأتي الأدبيّة من خلال إتحاد جميع العناصر وتناسقها، في قالب منسجم، ومحكم البناء، لأن الشكل لا ينفصل عن المضمون، بل يتسقان وينسجمان، لينتجا معا النّص الأدبي، الذي تكمن فيه جميع الخصائص الأدبيّة.

ب- علاقة الأدبيّة بالشعرية والجمالية:

إن علاقة الأدبيّة بالشعرية علاقة وطيدة لدرجة كاد ينعدم الفصل بينهما لدى العديد من الباحثين «حتى أن تودوروف أعلن أن مدار ما تدرسه الشعرية ليس هو الشعر والأدب، إنّما هو السمات الشعرية والأدبية»[3]، وهذا يعني أن الشعرية تلتقي مع الأدبيّة في كونهما يدرسان السمات الخاصة بالأدب والشعر «والأدبية كانت أسبق في الظهور في عالم النظرية

---

(1)- المرجع السابق، ص42.

(2)- صلاح عبد التواب: الصورة الأدبيّة في القرآن الكريم، ص74.

(3)- المرجع نفسه، ص31.

النقديّة الحديثة من الشعرية /.../ إن الأدبيّة والشعرية يشتركان معا –في أن لهما غاية واحدة–، وأنهما يتسمان بالعلمية غير أن مصطلح الأدبيّة لم يجد الرواج الكافي لينتشر ويتبنى، فسرعان ما شاعت الشعرية وطغت عليه»[1]، إذ أن الشعرية لاقت الرواج الكافي لتطغى على الأدبيّة حتى وإن كانت غايتهما واحدة.

فالشعريّة تستنطق الخصائص المجردة في الخطاب الأدبي، وهذه الخصائص هي الأدبيّة في ذاتها «وبهذا تكون علاقة الشعرية بالأدبية علاقة المنهج بالموضوع على التوالي»[2]، أي أن الأدبيّة جزء لا يتجزأ عن الشعرية، فهي موضوعها الأساسي والأوحد.

أما فيما يخص علاقة الأدبيّة بالجماليّة، فهي علاقة متذبذبة يصعب تحديدها والفصل فيها «كون هذه العلاقة ضرورة ملحة، إلا أن الشعريات – وفي حدود ما أعرف – لم تفحص هذه العلاقة فحصا دقيقا بل اكتفت بالإشارة إليها ... وقد أصبحت الشعرية مع بداية القرن الثامن عشر فرعا من علم الجمال الفلسفي ولاسيما في ألمانيا»[3]، أي أن علاقة الأدبيّة أو الشعرية بالجمالية لم تحدد من طرف الباحثين لأن «مصطلح الجمالية يندرج تحت مجموعة من الاستعلامات والإجراءات الّتي تبحث عن الوعي اللغوي للخصائص والتقنيات الباعثة لأدبية النّص الأدبي من عدمها»[4]، ممّا يعني بذلك أنّ الأدبيّة أعم من الجمالية كمنهج نقدي حديث، وليس كعلم فلسفي قائم بذاته.

فالجمالية كمنهج نقدي ولدت في «حضن الدراسات اللسانية، وأفادت من نتائجها ما أفادته غيرها من المناهج، وذلك في نظرتها الموضوعية للنص الأدبي والانطلاق من أساسه اللغوي باعتباره أولا وأخيرا نصا لغويا يستغل إمكانات اللغة الواسعة في اكتساب خصوصيته وفرديته وتميزه»[5]؛ استنادا إلى ما تقدم نلاحظ أن الجمالية مثلها مثل الأدبيّة استفادت من

---

(1)– حسن ناظم: مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، ص36.

(2)– المرجع نفسه، ص36.

(3)– المرجع نفسه، ص41.

(4)– لطفي فكري محمد الجودي: جماليّة الخطاب في النّص القرآني، ص24.

(5)– المرجع نفسه، ص24.

الدراسات النقديّة الحديثة في تحليلها للنص، انطلاقا من دراسة موضوعية للعمل الأدبي تهدف إلى إبراز تميز النّص الأدبي عن بقية النّصوص.

ومن وجهة نظر "تودوروف" فإنه «ربط الشعرية بالجمالية لا يقتضي فقط معرفة بنية العمل، بل كذلك معرفة بالقارئ، وإذا لم يكن هذا الأخير مستحيلا، وإذا وجدنا إمكانية دراسة ما يسمى بـ(ذوق) عصر ما والحساسية، فهنا يتحقق ربط الشعرية والجمالية»[1]. وهذا يعني أن الشعرية أو الأدبيّة يمكن أن ترتبط بالجمالية إذا ما نظرنا إلى بنية النّص الأدبي، والمتلقي للنص على حد سواء، وإذا ما كان هناك مجال لبحث سمات وخصائص تذوق النّصوص الخاصة بكل عصر أدبي على حدى.

نستخلص ممّا سبق أن الأدبيّة منهج نقدي حديث، نتج عن حاجة العصر الملحة لضبط الدراسات الأدبيّة، ووضعها ضمن منهج علمي، يستنطق الخصائص المشتركة بين النّصوص الأدبيّة والسمات النوعية المميزة لكل نص عن آخر، فهي تنطلق من النّص ذاته، باعتباره بناء متكاملا من الشكل والمضمون، والقيمة المهيمنة، بعيدا عن كل السياقات الخارجية المحيطة به، كما أنّها منهج له علاقته بالمناهج النقديّة الحداثيّة الأخرى كالشعريّة والجماليّة، حيث يتداخل معهم، ويتقاطع، فعلاقته بالشعرية علاقة المنهج بالموضوع، وعلاقته بالجماليّة علاقة تكامليّة.

2. أدبيّة الخطاب القرآني:

منذ وقت ليس ببعيد، كان ربط مصطلح الأدبيّة بالقرآن الكريم، أمرا مرفوضا قطعا في حقل الدراسات النقديّة والقرآنية، كون هذا المصطلح يعبر عن منهج نقدي حداثي وليد الساحة الغربية، فلا يستقيم تطبيقه على الخطاب القرآني ذو المصدر الإلاهي، بيد أن النّقاد العرب المعاصرين توصلوا إلى ضرورة ملحة تفرض دراسة أدبيّة للخطاب القرآني.

وكان في مطلع هؤلاء النّقاد "محمد عبده" الذي تعود إليه بوادر التأسيس لدفع الدراسات القرآنية نحو أفق العصر، منطلقا من ضرورة بعث الإحساس اللغوي، وإرهاف الذائقة الأدبيّة المتعلقة بالقرآن الكريم، فيما تلاه نقاد آخرون تركوا بصمتهم الخاصة في

(1)– حسن ناظم: مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، ص42.

مجال أدبيّة الخطاب القرآني، على غرار "أمين الخولي" و"محمد أحمد خلف الله" و"شكري عياد" و"عائشة عبد الرحمان" ثمّ "نصر حامد أبو بوزيد"[1]، و"محمد أركون"، و"سيد قطب" و"مالك بن نبي" وغيرهم [2].. هؤلاء الذين اختلفت وتباينت دراساتهم الحداثيّة للقرآن الكريم من الجانب الأدبي الفنّي الذي أضاف أبعادا جديدة للخطاب القرآني لم يسبقهم إليها النّقاد القدامى.

فالخطاب القرآني وأدبيته لا تقف «في روعته عند الحدود الّتي يقف عندها الكلام المألوف من حيث رونق اللفظ وجمال التعبير فحسب، بل هو ذوق أدبي بلغ النهاية في الرفعة والسمو، وتعبير فريد بلغ النهاية في التنسيق والحسن والجمال»[3]، إذ أن الخطاب القرآني ينفرد عن الكلام العادي، بجمال ألفاظه وتعابيره، وبأدبيته الفذة الّتي جعلته يبلغ منتهى الانسجام والتناسق والجمال.

فلا بد من الاعتراف أن «أدبية الخطاب القرآني، أدبيّة لا تمتنع عن مجانسة أدبيّة العرب، وإن امتازت عنها فنياً... فآلية التعبير ومكونات النّص وهندسته، وأعرافه البلاغية الخارجة عن المعهود... تتقاطع من حيث مظهر التشكل والتمظهر، مع تلك الآلية التعبيرية الّتي صدرت عنها أدبيات العرب»[4]، وهذا يعني أن القرآن الكريم رغم تفوقه على الإبداع البشري، جماليا وأدبيا وفنيا، إلاّ أنّه جارٍ على سنن العرب في طريقة نظمهم للكلام نظما أدبيا، وذلك راجع إلى حكمة إلاهيّة بليغة، ترمي إلى إقناع المتلقي العربي، الذي نزل القرآن في بيئته الثقافية، بغرض الوصول به إلى درجة اليقين والإيمان التام بوحدانية الله تعالى.

وبما أنّ لغة النص الإلهي تجسدت في صورة فنية باهرة فإن «الوظيفة الشعرية (الجمالية) تظهر بوضوح في الأجزاء النثرية من القرآن وذلك لأن لغتها تسمو على اللغة العادية، وتحوي في طياتها عناصر بلاغية كثيرة، مثل النهايات الإيقاعية حتى آيات الأحكام

---

(1)- ينظر: عمر حسن القيام: أدبيّة النّص القرآني بحث نظرية التفسير، ص، ص18، 19.

(2)- ينظر: سليمان عشراتي: الخطاب القرآني مقارنة توصيفية لجمالية السّرد الإعجازي، ديوان المطبوعة الجامعية، البيض، الجزائر، ط1، 1998م، ص، ص54 – 56 – 58.

(3)- لطفي فكري محمد الجودي: جماليّة الخطاب في النّص القرآني، ص169.

(4)- المرجع نفسه، ص4.

والخطابات»[1]، ممّا يدل بذلك على أنّ الخطاب القرآني يحتوي بالضرورة على الوظيفة الشعرية الأدبيّة للغة بوصفه رسالة سماوية ترقى عن الخطاب الأدبي العادي، لاشتماله على صور أدبيّة لا متناهية، خلقت جماليته الخاصة، المنفردة بحيث لا يمكن للكلام البشري مجاراته، فنياً وأدبياً.

طالما درس القرآن الكريم دراسات تفسيريّة وعلمية، وجمالية قديما وحديثا، في محاولة لسبر أغوار الخصائص المميزة له، كخطاب موجه للمتلقي بهدف إرشاده وتوجيهه. وبما أن الخطاب القرآني يحتوي كمّا كبيرا من القصص، فالدراسة الخاصة به انشطرت إلى نمطين، أحدهم يعنى بالقصص من الجانب العقائدي، أو الأخلاقي أو الاجتماعي أو الوعظي، ونمط آخر يعنى بالجانب الفنّي الدلالي والجمالي للقصص القرآني[2]، بوصف القصّة أحد أبرز مظاهر أدبيّة الخطاب القرآني، لما تنفرد به من فنية وجمالية رفيعة المستوى، ما زالت تبهر المتلقي وتدهشه، لقدرتها الفذة على مناسبة كل الأزمنة والأمكنة، ومجاراة كل الآليات الأدبيّة النقدية، قديما وحديثا.

من خلال ما سبق نجد أن أدبيّة الخطاب القرآني، هي قراءة معرفية استجاب بها العقل العربي المعاصر لمنطق العصر وتحدياته، بالرغم من الجذور العميقة للمدخل الأدبي في التراث العربي، خاصة في جهود علماء الكلام والمفسرين، إلا أن القراءة العصرية للخطاب القرآني اختلفت عن القراءات التراثية، بسبب التحولات الّتي طرأت على المفاهيم اللغوية والبلاغية والتأويلية، والجمالية.

فالنّقاد المعاصرون درسوا أدبيّة الخطاب القرآني، من منظور المناهج النقديّة الحداثيّة، ولكن دون التورط في إسقاطات آلية عشوائية لأدوات ومقولات تلك المناهج الغربية، على النّص القرآني، بل إنّهم استوعبوا جيدا المناهج التراثية، ونجحوا في التوفيق بينها وبين

---

(1)- نقيد كرماني: بلاغة النور جماليات النّص القرآني، تر: محمد أحمد منصور وآخرون، مراجعة: سعيد الغانمي، دار الجمل، بيروت -لبنان- 2008 م، ص135.

(2)- ينظر: محمد البستاني: قصص القرآن الكريم دلاليا وجماليا، ج1، مؤسسة البسطين العالمية، إيران، ط2، 1428 هـ، ص، ص11، 12.

الآليات الإجرائيّة الحداثيّة في منهج الأدبيّة، ثمّ حاولوا تطبيقها على الخطاب القرآني، كل حسب وجهة نظره ورؤيته الخاصة.

3- مفهوم القصص القرآني:

تعبتر القصّة القرآنية الشعلة الّتي تضيء الإنسان المسلم، بأسلوبها التصوري المبهر في وحدة فنية جماليّة رائعة، فقد استخدم القرآن الكريم في أساليبه الرساليّة أكثر من أسلوب، من أجل الوصول إلى عقل الإنسان، والتّأثير فيه.

فلكل امرئ ناحية يتأثر بها ويستجيب لها حسب ملكاته ومداركه، «فالقصة القرآنية لم تكن قصصا عبثية يراد بها التسلية وإضاعة الوقت بل هي وسيلة من وسائل الدعوة والتربية فهي تذكرة وعبرة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ١١١ ﴾ سورة يوسف/الآية: 111»[1]، فلم توجد القصّة القرآنية للتسلية والمرح وللترويح عن النّفس، بل تجسدت أغراضها في التوجيه والتهذيب، وكانت جزءا أصيلا من كتاب الله ووسيلة إبلاغيّة، ودليلا يهتدي به الناس، وعظة وعبرة للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠﴾ سورة هود/الآية:120.

ووردت مادة "القصص" في القرآن الكريم في عدة مواضع ثلاثين مرة بمختلف اشتقاقاتها وتصريفاتها في الماضي، والمضارع، وفعل الأمر، وصيغة القصص والقصاص[2] فالمادة القصصية تعلن عن حضورها وديمومتها بوفرتها المتكررة في القرآن الكريم وهذا ما يجعل المتلقي يتفاعل بشكل مستمر مع النّص الإلاهي.

وفي تعريفنا للقصص القرآني نجد من يعطيها تعريفا دينيا بحتا كونها خاضعة خضوعا تاما للغرض الديني من توجيه للمتلقي وتربيته ووعظه وإرشاده... وهذا لا ينفي بروز الخصائص الفنّية فيها وعرضها في أحسن صورة، فقد عرفها "الرازي" بأنّها: «مجموع الكلام

---

(1)- محمد صالح المنجد: نظريات في القصص والروايات مجموعة زاد للنشر بالمملكة العربية السعودية، ط1، 2010، ص07.

(2)- ينظر: صلاح الخالدي: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ص22.

المشتمل على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة»[1]. يرى "الرازي" أنّ القصّة القرآنية إنّما وردت للعظة والعبرة وشرح الأوامر والنواهي الشرعية ونشر الخير وإبراز الحق.

وهذا ما ذهب إليه أيضا "سيد قطب" في تعريفه للقصة القرآنية حيث قال: «فالقصة في القرآن ذات هدف ديني بحت، فهي مسوقة للموعظة والتربية والتوجيه ولكنها مع ذلك تفي بكل مطالب الفن القصصي الخالص»[2]، فالقصة القرآني عنده إحدى وسائل القرآن لبلوغ غايته لكنها مع ذلك تهتم بالجانب الجمالي والفني، هذا ما يعطيها خصوصية تميزها عن القصص العادي.

ومن الدارسين من عرّف القصّة القرآنية على أنّها تتبع لأحداث ماضية يقول الدكتور: "عبد الكريم الخطيب" «القصص القرآني هو كل ما حدّث به من أخبار القرون الأولى : في مجال الرسالات السماوية، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والظلال وبين مواكب النور وجحافل الظلام»[3]، فالقصص القرآني هو مجموعة الأخبار الّتي أخبر الله تعالى بها محمد صلّى الله عليه وسلم والمسلمين ،وكل أفراد البشرية وهذه الأخبار هي أخبار السابقين من الأمم الغابرة، حيث صورت لنا الصراع بين القوى الخيرة والشريرة، والصراع بين الحق والباطل والنور والظلام .

وعرفه الدكتور "مناع القطّان": «القصص القرآني هو الإخبار عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة والحوادث الواقعة فقد يشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي وتاريخ الأمم وذكر البلاد والديار وتتبع آثار كل قوم وحكى عنهم صورة ناطقه كما كانوا عليه»[4]، يتبين من هذا التعريف أن النّص القرآني ديوان الأمم السابقة وما طرأ عليها من

---

(1)- سعيد علي عطية مطلوع: الإعجاز القصصي في القرآن، دار الآفاق العربية، القاهرة – مصر – ط1، 2006م ص37.

(2)- محمد قطب: منهج الفنّ الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، – مصر – ط6، 1983م، ص157.

(3)- عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف دار المعرفة، بيروت –لبنان– ط2، 1975 م، ص40.

(4)- مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مكتبة الوهبة، القاهرة، مصر – (د . ط)، ص 300.

أخبار وحوادث، وكأنه جاء للتذكير وأخذ الموعظة من السابق للماضي، فالقص هنا استرجاع وإعادة سرد الأحداث.

كما عرّفت القصّة القرآنية أيضا على أنّها «تتبع أحداث ماضية واقعة وتعرض منها ما ترى عرضه من هنا كانت تسمية الأخبار الّتي جاء بها القرآن قصص ممّا يدخل في المعنى العام لكلمة خبر أو نبأ»[1] فالخبر هو ما كان مهيمنا على القصّة القرآنية في هذا الموضع، إذ يأتي مركزا على طبيعة الخبر والغرض منه، لا على ظروف الحدث القرآني وسياقاته الجانبية.

وغالبا ما تكون القصّة القرآنية على هذا الشكل موضعا للنهي، التنبيه، الأمر الأخبار... لأهمية النبأ الوارد من خلال تقنية السرد.

ومن تعريفات القصص القرآني أيضا أنّها: «هي الآيات البينات الّتي صورت الوقائع وسجّلت الأحداث وظروفها وملابساتها ونزل فيها وحي السماء ببيان أمر الله، وحكمه وهداية وشفاء وإعجاز وتثبيتا وتبشيرا وإنذارا وعقيدة وشريعة وتفصيلا لكل شيء»[2]. يركّز هذا النمط من القصّ على الظروف والسياقات المحيطة بالحدث، لتبيان حكم الرسالة والموعظة و العقيدة، الّتي أُريد تثبيتها في المتلقي فهما وإبلاغا وتأثيرا.

نستخلص ممّا سبق أن المدلول القرآني يتلاقى مع المدلول اللغوي للفعل "قص" الذي يعني تتبع الأثر، قال تعالى: ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ﴾؛ أي تتبعي أثره، والغاية من القصّ القرآني ليست سردا تاريخيا كما هي مهمة المؤرخين، ولا غايتها التسلية والترويح عن النّفس وإمتاعها كما هو الحال في عامة الفن القصصي، أو إظهار براعة أدبيّة مجردة عن هدف الإصلاح، بل القصّة سيقت لتحقيق أغراض دينية بحتة بأخذ العبرة منها وتصحيح العقائد والأخلاق، ممّا يجعلها بذلك تؤهل النّفس البشرية من خلال عوامل الإثارة والتشويق لتلقي الرسالة والتفاعل معها تفاعلا إيجابيا يخدم الدعوة الإسلامية.

---

(1)- عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، يوسف، ص45.

(2)- سعيد عبد العظيم: قصص القرآن عظات وعبر، دار العقيدة للتراث، الإسكندرية – مصر – ط1، 2001 م، ص27.

4- أهداف القصص القرآنية:

يختلف القصّ القرآني عن القصّ العادي، فهو لا يخضع بالضرورة لشروط القصّ البشري، كونه ذو مصدر إلهي، فالقصة القرآنية من أهم الوسائل التبليغيّة المختلفة في الشكل، والمتحدة في الهدف، استثمرها القرآن في نشر الدعوة المحمّديّة والقيم الإنسانيّة، وأغراض القصص القرآني متعددة نذكر منها:

أ- إثبات الوحي والرسالة:

يثبت القصص القرآني وحدانية المصدر الإلهي للرسالات السماوية والرسالة المحمدية، وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ سورة النجم/الآية:2-5، فصدق النبي صلّى الله عليه وسلم في إدعائه النبوة، حقيقة ثابتة لا جدال فيها، وهذا الغرض منصوص عليه في غيرها ما موضع من القرآن الكريم كقوله تعالى:﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ۝٤٩﴾ سورة هود/الآية:49، وغيرها الكثير من الآيات الّتي تشير إلى أن القصّة إنّما جاءت في القرآن لترسيخ وتأكيد فكرة الوحي الذي نزل على النبي محمد صلّى الله عليه وسلم[1] ليؤسس لصرح ثقافي جديد، إستنادا إلى ما تقدم من أنباء السابقين الّتي لم يكن يعلمها لا هو ولا قومه.

فالقصة القرآنية توجهنا «إلى أن الرسل وإن اختلفت أزمانها وتعددت أممها، فدعوتها واحدة، إنّما تدعوا أول ما تدعوا إلى عبادة الحق عزّ وجلّ»[2]؛ أي أن الهدف الأول والأعظم للقصص القرآني، هو التأكيد على عبادة الله الواحد القهار، فكل الرسل من قبل محمد صلّى الله عليه وسلم ديانتهم واحدة ورسالتهم واحدة وإن اختلفت أزمانهم، وأممهم، يشتركون في وجوب الإقرار بوحدانية الله تعالى.

---

(1)- ينظر: أسامة محمد العظيم حمزة: القصص القرآني وأثره في استنباط الأحكام، ص18.

(2)- عمر محمد باحاذق: الجانب الفنّي في قصص القرآن الكريم، دار المأمون للتراث، دمشق – سوريا – ط1، 1993 م ص164.

ب- الدروس والعبر:

غالبا ما يرد القصص في القرآن الكريم لضرب المثل، وإعطاء العظة يقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ سورة يوسف/الآية: 11، فالقرآن الكريم تحدث عن حياة السابقين، وجعلها عبرة لذوي الألباب والعقول.

والقصة القرآنية لم تنزل في الكتاب من أجل المتعة، على قدر ما نزلت لتكون تذكرة وعبرة وهدى، ورحمة، وإرشادا «ومن هنا صارت القصص القرآنية خير ذكرى للمؤمنين»[1]، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ سورة هود/الآية:120

فالقص القرآني جاء على شاكلة مختلفة من حيث المرسل والمرسل إليه، وطبيعة الرسالة، وهذه الخصوصية والإبداع الإلهي كانا«سببا لتحريك التفكير الإنساني قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ سورة الأعراف/الآية:176 أي يتخذون القصص عبرة في حياتهم حتى يتحرزوا عن المزالق والمهالك»[2]، ممّا حقق بذلك وظائف اللغة خلال دورة الكلام وفق المخطط التواصلي لـ"رومان جاكسون" كما سنوضحه فيما يلي:

ب-1- المرسل: تتعلق به الوظيفة التعبيرية الإنفعالية[3]، وهو الرّسول الكريم عليه الصلاة والسلام، بعدما تلقى القرآن من المرسل الأول الله سبحانه وتعالى عن طريق الوحي، وقد كُلف الرّسول بإبلاغ الرسالة إلى قومه، ومحاولة إقناعهم بما جاء به من أفكار وتعاليم، تلغي أساليب وطرق عيشهم القديمة، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ سورة التوبة/الآية:128.

---

(1)- آية الله جعفر السبحاني: القصص القرآنية دراسة ومعطيات وأهداف، ج1، دار الإلهام الصادق، ط1، 1428 هـ، ص14.

(2)- المرجع نفسه، ص14.

(3)- ينظر: رومان جاكبسون: قضايا الشعرية، تر: محمد الولي، مبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء -المغرب- ط1، 1988، ص27.

ب-2- **الرسالة:** وتتعلق بها الوظيفة الشعرية الجمالية[1] وهي القرآن الكريم والقصص الّتي وردت فيه، لتأدية أغراض عدة، فهو يمتاز بأدبية وفنية وجمالية فذة أبهرت العرب وأدهشتهم، حتى عجزوا عن الإتيان بمثله، رغم أنهم أمة شعر بارعون في نظم الكلام وتقفيته يقول الله تعالى:﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ سورة الإسراء/الآية:88.

ب-3- **المرسل إليه:** تتعلق به الوظيفة التّأثيرية الإفهامية[2]، ويتمثل هنا في قوم الرّسول صلّى الله عليه وسلم، بحيث يسعى المرسل أي الرّسول الكريم إلى جذب انتباههم وإقناعهم باستخدام مختلف الأساليب كالدعوة والنداء مثلا يقول الله تعالى:﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ سورةالأنعام/الآية:135.

ب-4- **المرجع:** تتعلق به الوظيفة السياقية[3]، ويتمثل في الظروف والمواقف المحيطة بالرسالة، والغاية من نزول الآيات والقصص القرآنية من حدث وزمان ومكان.

ب-5- **القناة:** وظيفتها انتباهية، أي إقامة علاقة الاتصال[4]، تتمثل في حسن معاملة الرّسول علية الصلاة والسلام لقومه، وكسب قلوبهم بالحسنى، كإفشاء السلام، ومخاطبتهم بلطف ولين يقول الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ سورة آل عمران/الآية: 159.

ب-6- **الشفرة:** وهي النظام المشترك بين المرسل والمرسل إليه، وظيفتها ما فوق لغوية[5]، بحيث يتوقف فهم الرسالة عليها، وتتمثل في اللغة العربية الّتي نزل بها القرآن الكريم لغة قوم الرّسول صلّى الله عليه وسلم، حتى يستساغ فهم الرسالة السماوية والعمل بها، يقول الله تعالى:﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ سورة يوسف/الآية:2 .

---

(1)- ينظر: المرجع السابق، ص27.

(2)- ينظر: المرجع نفسه، ص27.

(3)- ينظر: المرجع نفسه، ص27.

(4)- ينظر: المرجع نفسه، ص27.

(5)- ينظر: المرجع نفسه، ص27.

ج- تثبيت قلب النبي صلّى الله عليه وسلم:

من بين أهم أهداف القصص القرآني هو غرض تثبيت قلب النبي صلّى الله عليه وسلم، ومآنسته، يقول الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ سورةهود/الآية:120 «وهذه الآيات من أواخر آيات سورة هود، جاءت تعقيبا على ذكر مجموعة من قصص الأنبياء في السورة، والقصص المذكورة في هذه السورة هي: قصة نوح، وقصة هود، وقصة صالح، وقصة إبراهيم، وقصة لوط، وقصة شعيب، وقصة موسى، عليهم الصلاة والسلام»[1]، جاءت هذه القصص في سياق ونسق موحد لتشاركها وتشابهها في الأحداث والأغراض والأهداف، حيث أنّها رغم اختلاف أزمنتها وأمكنتها وشخوصها، تشترك في الهدف من نزولها وهو تثبيت فؤاد النبي محمد صلّى الله عليه وسلم.

كونه ليس أول من جاء برسالة سماوية وقوبل بالرفض والجحود، بل سبقه أنبياء كرام عليهم السلام واجهوا ذات التحديات الّتي واجهها النبي صلّى الله عليه وسلم من أذى جسدي ومعنوي، فصبروا ونصرهم الله على أقوامهم الظالمين.

وهذا ما يثبت أفئدة النبي وأصحابه وأنصاره من المسلمين والمؤمنين أسوة بأنباء الرسل السابقين، يقول الله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ سورة الفتح/الآية:04، فقصص الأنبياء السابقين بمثابة السند الذي يستلهم منه النبي وصحابته قوتهم، كونها تزرع في أنفسهم الطمأنينة والرغبة في الجهاد في سبيل الله.

د- أغـراض تربوية:

استهدف القرآن الكريم تقويم السلوك الفردي والجماعي وتصحيح العقائد الفاسدة المنتشرة مع تثبيت العقائد الصحيحة من أعراف وتقاليد العرب كالتآزر والتعاون والتآخي

---

(1)- صلاح الخالدي: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ج1، دار القلم، دمشق-سوريا، ط1، 1998م ص35.

الذي عُرف عن العرب منذ الجاهلية[1]، يقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ٢﴾ سورة المائدة/الآية:02، وكذلك يثبت القصص القرآني ما تعارف عليه العرب من خصال حميدة كإكرام الضيف، وخدمة الحجيج، والشورى، أمّا العقائد الفاسدة الّتي سعى القصص القرآني لتصحيحها، فهي وحدانية الله عزّ وجلّ وترك عبادة الأوثان يقول الله تعالى:﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٦ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ سورة العنكبوت/الآية:16.

في هذه الآيات من قصة إبراهيم عليه السلام، حثٌّ على ترك عبادة الأوثان الّتي كانت منتشرة في المجتمع الجاهلي، أسوة بما قام به إبراهيم مع قومه.

هـ- تعليم فضائل الأخلاق عن طريق القدوة العمليّة:

يهدف القصص القرآني إلى عرض أمثلة إيجابية عملية للإقتداء بها، كأن يستعرض شخصية النبي في القصّة وطريقة تفاعله مع الوقائع والأحداث، بغرض الإقتداء به مثل أيوب عليه السلام في صبره على المرض والمحن إلى أن جزاه الله خير جزاء[2]، يقول الله تعالى:﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾ سورة الأنبياء/الآية:84.

كما أنّ القصص القرآني يحبب العبد المؤمن في الأعمال الصالحة ويجنبه الآثام والشرور بتبيان عاقبة المتقين وعاقبة الظالمين، كقصة ابني آدم عليه السلام[3]، إذ اعتدى أحدهما على الآخر فقتله حسدا وغيرة من عند نفسه، لأن أخاه تقبل منه الله تعالى قربانه ولم تتقبل قربان الأخ المعتدي على أخيه، ففي القصّة تبيان لعاقبة الظالمين، متمثلة في عاقبة ابن آدم الذي ظلم نفسه وقتل أخاه، وأيضا فيها تبيان لعاقبة المؤمنين متمثلة في الأخ الذي

---

(1)- ينظر: آية الله محمد باقر الحكيم: القصص القرآني، دار تراث الشهيد الحكيم، النجف – العراق- ط1، 2008م ص46.

(2)- ينظر: فضل حسن عباس: قصص القرآن الكريم، دار النفائس، الأردن، ط3، 2010، ص ص 44، 45.

(3)- ينظر: آية الله محمد باقر الحكيم: القصص القرآني، ص 46.

رفض مد يده لقتل أخيه، الذي اعتدى عليه، وهذا أنموذج عملي يدل على حسن تصرف الإنسان المؤمن في أصعب الظروف.

و- تبيان قدرة الله الخارقة:

يرسخ القصص القرآني الاعتقاد الجازم بربوبية وألوهية الخالق عزّ وجلّ، وقدرته، فلا يعجزه شيء جل وعلا، ومن أمثلة ذلك قصة خلق آدم عليه السلام[1]، يقول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ سورة ص/الآية: 71- 72، ففي قصة خلق آدم عليه السلام إبلاس للكافرين والمكذبين.

وكذلك في قصة خلق عيسى عليه السلام من أم فقط، دون وجود أب، آية وإبهار، وخرق لقوانين الطبيعة، وخرق لنواميس الكون، وكل ذلك دليل على وحدانية الخالق وقدرته، وعلمه الذي وسع كل شيء؛ كل هذه الخوارق تجعل عقل الإنسان يتدبر ويتأمل، ليوقن بالحقيقة المطلقة وهي أن لا إله إلا الله.

في هذا السياق نجد أن للقصص القرآني أغراض، وحكم بليغة يصعب حصرها، وهي دليل على الدقة المتناهية، في أسلوب عرضه، وفي تعابيره، وفي مقاصده ودلالاته، وفي تناسق وانسجام بناءه الكلي من أول سورة إلى آخر سورة، تلك الخصائص الّتي جعلته مواكبا لكل العصور والأزمنة، وعصيا على التحريف والتلاعب، تلك هي السمات الّتي أثبتت مصدره الإلهي، وأنّه آية لأولي الألباب، إذ لم يقصد بقصصه الجانب الفنّي لذاته وإنما جيء به لأهداف إرشادية وعظية، بيد أن فنيته مازالت سرا مذهلا استدعت دراسته بناء على أحدث ما توصل إليه العالم من مناهج نقدية معاصرة.

(1)- ينظر: سيد قطب: التصوير الفنّي في القرآن، دار الشروق، القاهرة – مصر- ط17، 2004 م، ص 155.

II. بنية القصص القرآني وخصائصه:

تميزت القصّة القرآنية عن نظيرتها الأدبية، فهي ليست بمفهوم الأقصوصة، أو القصّة أو الرواية أو الحكاية المتواضع عليها، بل جاءت على شاكلة مختلفة مميزة لم تعهدها الذاكرة الأدبية، فقد تعدّدت أنواعها وخصائصها، هذا ما جعلها ذات سلطة فنية جماليّة تأثيرية تجعل القارئ يسرح بخياله ويتعايش مع أحداث القصة، حتى يصبح جزءا منها يتأثر بها وتنطبع في ذاته، فهي كيان متفرد مصدرها الخالق عز وجل، وهذا ما دفعنا للبحث في بنية القصّ القرآني وأنواعه، والخصائص الّتي تميزه عن غيره من القصص الوضعي.

1- أنواع القصّة القرآنية:

تنوع أسلوب عرض القصص في القرآن الكريم، وفق الموقف والسياق وأسباب النزول والأغراض والأهداف من نزولها، فمنها القصّة التاريخية، والقصة الواقعية، والقصة التمثيلية، ولقد اختلف الدّارسون والباحثون في تحديدهم لأنواع القصص القرآني كلّ حسب رؤيته ووجهة نظره، وفي ما يلي أبرز الأنواع الّتي حددها أغلب الدارسين:

أ- القصّة التاريخية:

اختلف الدّارسون للقصص القرآني في تحديد ماهيّة هذا النوع فمنهم من يعتبر أن القرآن الكريم يروي لنا في قصصه وقائع وحقائق تاريخية يمكن اعتمادها كمرجع تاريخي، يقول "سعيد عطية علي مطاوع": «فإن القصص التاريخي في القرآن وإن لم يكن عرضا تاريخيا بالمعنى المعروف، لكنه حجة لا تقبل الطعن في إثبات ما قص من وقائع تاريخية، ولقد أبان وجه الحق فيما دخل على بعض القصص من زيف أو تحريف، سواء في كتب العهدين القديم والجديد أو في كتب التاريخ القديمة»[1] وهذا يعني أن "سعيد عطية علي مطاوع" اعتبر القصّة القرآنية ، تركز على الوقائع التاريخية كما حدثت، فالغرض منها رواية التاريخ الحقيقي غير المزيف إلى جانب التوجيهات والتعاليم الدينية.

(1)- سعيد عطية علي مطاوع: الإعجاز القصصي في القرآن، ص 49.

وكذلك ذهب "محمد قطب" إلى اعتبار أن القصّة التاريخية في القرآن الكريم، يُقصد منها التاريخ في حد ذاته بالشخوص والأزمنة والأمكنة والحوادث في قوله: «وقد استخدم القرآن –في أغراضه الدينية البحتة– كل أنواع القصة: القصّة التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها»[1].

وهناك رأي مخالف اعتبر أنّ القرآن الكريم لا يركز على الواقعة التاريخية كما حدثت، فهو ليس كتابا في التاريخ ولا يقصد من عرضه لوقائع تاريخية بالتاريخ في حد ذاته وهذا ما ذهب إليه "محمد أركون"، حيث اعتبر أن: «القرآن يعيد توظيف هذه الأنقاض (أنقاض خطاب اجتماعي قديم) ليبني صرحا إيديولوجيا جديدا كما تشهد بذلك سورة الكهف مثلا»[2]، وهذا يعني أن القصّة القرآنية تعمل على بناء المتخيل الديني، بما تثيره في ملكات المتلقي من قدرة على المسرحة الخالقة لوضعيات التبالغ الحي؛ كأن ذهن القارئ يتحول إلى مخرج مسرحي أو سينمائي للإبداع الوارد في تلك القصص.

فالقرآن لا يقصد رواية الوقائع التاريخية كما حدثت بقدر ما يحرص على ترسيخ تعاليم وأساليب نسق ثقافي جديد استنادا إلى ما هو متعارف عليه من قصص وروايات لدى شعوب منطقة شبه الجزيرة العربية آنذاك.

ومثال ذلك قصة أصحاب الكهف، فلم يأت في القرآن ذكر عددهم الحقيقي وإنمّا ذكر ما روي عن عددهم في القصص القديمة المتعارف عليها، ثمّ يؤكد على أن الله أعلم بعدتهم، حيث استند إلى معارفهم السابقة لبناء صرح إيديولوجي جديد، لذلك لم يركز على الحادثة التاريخية، لأن الغرض من ذكرها هو التعاليم والتوجيهات الدينية وليس الغرض رواية الحقائق التاريخية.

وكذلك يذهب "محمد أحمد خلف الله" إلى اعتبار أن القصّة القرآنية كالمثل تُضرب لإيضاح وتفصيل المجمل من المعاني الكلية، فالأمثال لا يلزم أن تكون من الحقائق الثابتة فقد تكون من المتخيلات والأوهام السائدة في معتقدات وأذهان الأغلبية من المجتمع.

---

(1)– محمد قطب: منهج الفنّ الإسلامي، ص 157.

(2)– محمد أركون: نافذة الإسلام، تر: صياح الجهيم، دار عطية، ط1، 1996 م، بيروت – لبنان–، ص 114.

والأمر نفسه بالنسبة للقصة، حيث تشرح الحق وتبينه لا لأنها في ذاتها حقيقة ثابتة يقول "محمد أحمد خلف الله": «نلفت ذهن القارئ إلى أنّه إذا وَضُحَ لديه الوضوح الكافي بأن القصّة القرآنية قد قصد منها إلى التاريخ، فإنّه يتعيّن عليه أن يؤمن بما جاء فيها على أنّه التاريخ، وذلك كتقرير القرآن لمسألة مولد عيسى عليه السلام، وتقريره لمسألة إبراهيم عليه السلام وأنه لم يكن يهوديا ولا نصرانيا، أما تلك الّتي يُقصد منها إلى العظة والعبرة وإلى الهداية والإرشاد، فإنه لا يلزم أن يكون ما فيها هو التاريخ فقد تكون المعارف التاريخية عند العرب أو عند اليهود وهذه المعارف لا تكون دائما مطابقة للحق وللواقع»[1]، وهذا يعني أن القرآن خص مسائل تاريخية بالتصحيح والتثبيت، كقصة ميلاد عيسى عليه السلام الّتي كانت مختلف فيها، أما القصص الّتي تهدف إلى العظة والعبرة والتوجيه والتعليم فلا يشترط فيها الصدق التاريخي، كونها قد تحمل في طياتها ما تعارف عليه العرب واليهود فلا تتطابق مع الواقع بالضرورة.

ب- القصّـة الواقعية:

تتمثل القصّة الواقعية في القصص «التي تعرض نموذجا لحالة بشرية ،فيستوي أن تكون بأشخاصها الواقعيين، أو بأي شخص يتمثل في ذلك النموذج»[2]، أي أنّها تلك القصص الّتي تتطابق مع الواقع كونها تعرض نموذجا لطبيعة البشر، بين الشر والعدوان، والخير، والتسامح، والحب، والتعاطف، والطيبة...، ومن أمثلة هذه القصص نجد المنافقين الذين أظهروا للرسول صلّى الله عليه وسلم إسلامهم وحبهم وكانوا يخفون حقيقتهم، ويضمرون في أنفسهم الحقد، والشر، والغدر يقول الله تعالى:﴿وَإِذَا لَقُوْاْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوْاْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥﴾ سورة البقرة/الآية:14-15.

يرد ذكر هذا النوع من القصص بغرض معالجة ظاهرة واقعية من حياة البشر لتعليمهم وتوجيههم سبل العيش، وتبيان أجر المحسنين والمؤمنين، وسوء عاقبة المفسدين والكافرين،

---

(1)- محمد أحمد خلف الله: الفنّ القصصي في القرآن لكريم، شرح وتعليق: خليل عبد الكريم، دار سينا، ط 4القاهرة – مصر- 1999م، ص 91.

(2)- محمد قطب: منهج الفنّ الإسلامي، ص 157.

ومن أمثلة هذه القصص أيضا، قصة ابني آدم قابيل وهابيل، وكذلك قصة كفر ابن نوح عليه السلام، وقصة موسى والعبد الصالح، الّتي تحمل أحداثا يتعرض لها الإنسان كل يوم، كأن يصاب في ماله، أو يفقد ابنه[1] وكلها أمور تحدث لحكمة بليغة من الله عز وجل، يجهلها الإنسان ويخالها سوءا أصابه.

يرد في هذا النوع من القصص، قيم ومبادئ تعلم الإنسان الطرق المثلى للتعامل مع الآخر المعادي والمناوء له، كما تعلمه كيفية الخروج من الابتلاءات وقلبه راض بقضاء الله وقدره، للسمو بالحياة البشرية إلى أعلى المراتب.

ج- القصّة التمثيلية:

وهي القصّة الّتي تضرب للتمثيل ، تبدأ بما ينبئ أنّها مثل مضروب لوجود تشابه بين أحداثها وحالة المُخَاطبين: «وهي نوع من أنواع المثل في القرآن الكريم يطلق عليه المثل القياسي، وهو سرد قصصي، أو وصفي، يتعاطى أحد الأمرين: فهو إما أن يصور أنموذجا من السلوك الإنساني بقصد التأديب أو التمثيل والتوضيح، وإما أن يجسم مبدأ يتعلق بملكوت الله ومخلوقاته»[2]، فهذه القصص في الغالب لا تنسب لأشخاص معنيين، ويرد ذكرها للاتعاظ وأخذ العبر منها و«لا تمثل واقعة بذاتها، ولكنها يمكن أن تقع في أية لحظة وأي عصر من العصور»[3]، ولهذا سميت بالقصة التمثيلية.

ومن أمثلة هذا النوع من القصص قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤﴾ سورة يس/الآية:13- 14، «هذه الأقصوصة تتناول مجتمعا موروثا، هو المجتمع الذي واكب رسالة عيسى عليه السلام، حيث وظفها القرآن للتدليل على موقف مجتمع محمد صلّى الله عليه وسلم من رسالته»[4]، وكان الغرض من ضرب المثل بقصة القرية هو الاتعاظ وأخذ

---

(1)- ينظر: عبد اللطيف رجب القانوع: قضايا الأمة وعلاجها في القصص القرآني، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة – فلسطين- السنة: 2011 م / 2012 م، ص 9 (رسالة ماجستير).

(2)- سعيد عطية علي مطاوع: الإعجاز القصصي في القرآن، ص 53.

(3)- محمد قطب: منهج الفنّ الإسلامي، ص 157.

(4)- محمود البستاني: قصص القرآن الكريم دلاليا وجماليا، ج2، ص 231.

العبرة من عاقبة تكذيبهم للمرسلين، حيث مسهم العذاب وغضب من الله، فعلى قوم النبي محمد عليه الصلاة والسلام أن يعلموا سوء عاقبتهم إذا ما كذبوا وأصروا على الكفر، ولقد تكرر كثيرا هذا النوع من القصص الذي يقصد به التوجيه والترغيب والترهيب، والتوضيح، والتفصيل للقضايا والمواضيع الكلية الشاملة.

إنّ هذا التنوّع الملموس في أسلوب عرض القصّة القرآنية، جعله يبتعد عن الرتابة المملّة، كما أكّد أنّه ليس مجرّد كتاب قصص وأساطير مثلما ادّعى الكثير من المكذّبين، بل أثبت أنّ مصدره إلهي، باعتباره رسالة سماوية كان الغرض من نزولها الإرشاد والتعليم والهداية.

2- الخصائص الفنّية للقصص القرآني:

تجمع القصّة القرآنية في قالبها الفنّي المميز المحكم بين سمو الهدف ورقيه وصدق المضمون وإحكامه، ممّا يؤثر ذلك على وظيفة التّأثير الوجداني والتوجيه العقلي للمتلقي، هذا ما يجعلها قصة تكتسي حلة تميزها عن سائر القصص، بخصائص تعلو بها جلالة وقداسة استحقت من خلالها أن تتوج بأحسن القصص، وخصائص القصّة القرآنية عديدة نذكر منها:

أ- الواقعية:

تعرضنا سابقا إلى مفهوم القصّة القرآنية ووجدنا أن العديد من الباحثين يعرفها أنّها أنباء وأخبار عن القرون الغابرة «فالمتأمل في قصص القرآن الكريم يجد الواقعية أساسا مستوعبا لعقيدته وتشريعه ومسلكه في حياة البشر لأن القصص القرآني يحكي الواقع ولم يأت عبثا ولا للتسلية وترويح عن النّفس وإنما أتى لأهداف تربوية سامية[1]»، فهي حقيقة في وقوعها، ترمي إلى تصحيح العقائد والأخلاق، صدقها نابع من اشتقاقها في اللغة، فتتبع الأثر ينفي زي تلقيف أو تصوير لما لم يقع[2]، والواقعية بمعنى «ذكر الأحداث والقضايا والصور في القصص القرآني الّتي لها علاقة بواقع الحياة الإنسانية ومتطلباتها المعاشة في

(1)- عبد اللطيف رجب القانوع: قضايا الأمة وعلاجها في القصص القرآني، ص 16.

(2)- ينظر: أسامة محمد عبد العظيم حمزة: القصص القرآني وأثره في استنباط الأحكام، ص 16.

ميسرة التاريخ الإنساني»[1]، لأنّ القرآن الكريم يعالج من خلال القصّة الواقع الذي عاشه الإنسان ولا زال يعيشه، فإذا انفصلت القصّة عن الواقع لا يمكن أن يستفيد منها وتبطل فاعليتها الّتي سيقت من أجلها.

ب- الصدق في ذكر الأحداث والوقائع التاريخية:

وقد اختلف الدّارسون في هاته الخصيصة كون أن القرآن الكريم لم يلتزم بذكر الحوادث التاريخية كما هي؛ لأنه «ليس كتابا تاريخيا ولا صحيفة من الصحف القصصية التخيلية، وهو كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه – كما نص على ذلك- وإنه لا يقول إلا الحق، وليس بعد الحق إلاّ الظلال»[2]، فبالرغم من أن القصص القرآني جاء مستمدا من الواقع واحتوى على الحقائق إلا أنّه ليس تاريخا للبشرية وفقا لمنهج المؤرخين لأنه لم يعنى بذكر الأماكن وتحليل الأحداث إنّما نهل من التاريخ ما يفيد به الدعوة المحمدية ويخدم الإسلام كونه يدعو إلى التوحيد وعبادة الله عز وجل والإيمان به وبرسوله صلّى الله عليه وسلم.

ج- مصدر القصّة القرآنية:

هو مصدر إلهي وموضوعها هو الإنسان الذي استخلفه الله في الأرض بما يدور حوله ويحدث به وما ينبغي أن يعرفه من رموز، لذا نجدها قصة ذات هدف ديني أخلاقي وتربوي نهمل على تنوير العقول وتهذيب سلوكيات المتلقي[3]، كما سلف الذكر في أهداف القصّة القرآنية.

د- تنوّع طريقة العرض:

تتباين طرق القرآن الكريم في عرضه للقصص فلا يجري في أسلوبه على نمط واحد مخصوصه في قصص كلها، بل تتنوع طرائقه تبعا لتنوع الأغراض، وتتنوع الوسائل البيانية

---

(1)- آية الله محمد باقر الحكيم: القصص القرآني، ص 24.

(2)- المرجع نفسه، ص 27.

(3)- ينظر: فضل حسن عباس: قصص القرآن الكريم ص، ص 45، 46.

تبعا لتنوع الطرائق[1]، وهذا يعني أنّه لم ينفرد بأسلوب واحد في عرضه للمادة القصصية، فلا يكون على شكله واحدة ثابتة ووجه مألوف مخصوص، في كل قصصه، فالأسلوب السردي يختلف ويتنوع وفقا للأهداف المنشودة.

هـ- الثبات:

من خصائص القصص القرآني للثبات قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ سورة هود/الآية:120[2]، فالثبات في القصص القرآني يتمثل في مقوماته الأساسية كونها لا تتبدل ولا تتغير شامل شتى نواحي الحياة، وصالح لكل زمان مكان لأنه الدستور الإلهي للحياة والكون.

و- النّظافة والشموليّة المطلقة:

من السّمات البارزة في قصص القرآن أيضا أنّها قصص «نظيفة» وليس المقصود بالنظافة أنّها تعرض النّفس البشرية بيضاء من غير سوء! فالقرآن يعرض تلك النّفس في جميع حالاتها: حالة القوة وحالة الضعف. حالة الارتفاع وحالة الهبوط. حالة التأرجح بين القوة والضعف والارتفاع والهبوط [3]، فهي قصص شاملة تعالج شتّى مناحي الحياة، من عقائد وعبادات وأخلاق وسلوكيات...، تعرض الإنسان في شتى حالاته سواء كانت ضعفا أم قوة، فرحا أم حزنا، ممّا يجعلها تتسم بالشمولية المطلقة في عرض موضوعاتها.

ح- أحسن القصص:

القرآن الكريم من أحسن القصص وقد وردت آيات تدل على ذلك منها قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ سورة يوسف/الآية:3، صرحت الآية الكريمة أن القرآن من أحسن القصص أي أنّه

---

(1)- المرجع السابق، ص 47.

(2)- ينظر: محمد صالح المنجد: نظرات في القصص والروايات، مجموعة زاد، ط1، 1431 هـ، 2006 م، ص 6، 7،8.

(3)- محمد قطب: منهج الفنّ الإسلامي، ص 159.

أحسن من القصص البشري، بهاؤه يتجلى في الحسن الفنّي المعروض بأسلوب التصوير الفني، والجمال البياني الذي يؤثر بأعجوبة في تلقيه ويتجلى أيضا في الحسن الأخلاقي بتقديمه للدروس والعبر والعظات[1]، فهو يحسن الاختيار بعرض الوجه الأحسن من القصّة لخدمة غرضه الديني، وبذلك سمي بأحسن القصص.

ط- التكرار الهادف:

من خصائص القصص القرآني أنّه يشتمل على كثير من القصص المكررة، «فهو مستفيض، فقد وردت قصة إبراهيم ونوح وعاد وثمود ولوط وشعيب وموسى وهارون في أكثر من موضع من كتاب الله»[2]، فالقصة هنا لا تذكر في الغالب بجميع مواقفها في موضع واحد أو سورة واحدة، بل تتكرر في عدة مواضع «فتجزء وقائع القصّة الواحدة بحسب ما يستفاد من كل واقعة من عبر وعظات»[3]، فنتجنب بذلك الإطناب والتطويل الذي يبعدها عن مرادها الذي سيقت من أجله.

ك- الإقناع الفكري:

تأثير القرآن بلغ مبلغا خرق به العادة المعهودة من تأثير الكلام عن طريق الإيحاء، والاستهواء والتقمص والتفكير والتدبر والتأمل، فالقصص القرآني لا يخلو من محاورات فكرية، ينتصر فيها الحق ويبطل فيها الباطل، ومثال ذلك قصة سيدنا يوسف نجد حوارا قائما بينه وبين فتيين كانا معه في السجن فدعاهما إلى توحيد الله تعالى وعبادته، وقصة نوح كلها حوار بين الحق والباطل[4] والأمثلة كثيرة في القصّة القرآنية، ومن هذا يظهر الإقناع العقلي المنطقي والإثارة الوجدانية للنفس البشرية.

لقد تعرضنا فيما سبق لبعض خصائص القصّة القرآنية، الّتي ميزتها بدورها عن القصّ الأدبي حيث تعتبر تلك السمات أحد أبرز المعالم الّتي جعلت القرآن خطابا مميزا عن

---

(1)- ينظر: صلاح الخالدي: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث ص 29.

(2)- سعيد عبد العظيم: قصص القرآن عظات وعبر، ص 70.

(3)- أسامة محمد عبد العظيم حمزة: القصص القرآني وأثره في استنباط الأحكام ص 15.

(4)- ينظر: عبد الرحمان النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، برامكة -دمشق-، ط25، 1431، 2010 م، ص 191.

الخطاب العادي، من وجهات مختلفة سواء من حيث الصياغة والأسلوب (البناء السردي) أو من حيث الغرض والأهداف (إرشادية، وعظية...).

3- أنواع البني القصصي في الخطاب القرآني:

لكلّ عصر أسسه الفكرية والعقلية والوجدانية، الّتي تختلف وتتباين عن باقي العصور، فالمتعمق في الفكر الديني الإسلامي، يجد أن الإسلام يتميز بمنهج علمي تطبيقي يتماشى مع تطورات الحياة والمتغيرات الزمكانية، والقصة القرآنية من أهم الوسائل الّتي استخدمها الإسلام في الموعظة والتربية والتوجيه، فقد أثار القرآن الكريم في أساليبه الإرسالية أكثر من أسلوب، من أجل الولوج إلى عقل الإنسان وشعوره ووجدانه، وملامسة عواطفه، ممّا يجعل هذا الأخير وسيلة إقناع وإبلاغ وتوعية قال تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾ سورة يوسف/الآية:3.

لقد انبهر العرب بالقرآن الكريم وسحروا به منذ نزوله، ببيانه وبلاغته، وفصاحته وإبداعه اللغوي ودقة تصويره، الذي يلامس الحس، ويثير الخيال ويُشرك النظر والمخيلة في تذوق الجمال، ممّا يُولد مسرحه خالقة للأحداث في ذهنية المتلقي، وهنا تكمن جماليته الفنية، الّتي عجز العرب عن الإتيان بمثلها، فلا يمكن الحديث عن الأدبيّة في القصّة القرآنية بمعزل عن الفنية، حيث نميز شكلين للبنية القصصية، كما صاغتها أدبيّة الخطاب القرآني.

أ- القصّة المغلقة (المكتملة):

ونقصد بها «القصة الّتي استقل بها موطن قرآني واحد في سورة قرآنية فريدة ولم يتكرر سياقها السردي، خارج ذلك الموطن، وقد وردت على هذا الشكل القصصي كل من قصة يوسف وقصة أصحاب الكهف، وقصة سليمان والملكة بلقيس، وغيرها من القصص الّتي أخذت إطارا مثليا»[1]، في هذا السياق نرى أن القصّة القرآنية ذات البنية المغلقة أو المكتملة تتوارد في شكل منفرد ومستقل، فلا نجدها تتكرر في موضع آخر من القرآن الكريم.

(1)- سليمان عشراتي: الخطاب القرآني، مقاربة توصيفية لجمالية السّرد الإعجازي، ص 69.

ومثال ذلك قصة "أصحاب الكهف" الّتي استقلت بها سورة واحدة، لكن خصوصية السورة بهذه القصّة لا يعني إنفرادها وخلوها من قصص أخرى، «ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف، بعدها قصة الجنتين، ثمّ إشارة إلى قصة آدم وإبليس، وفي وسطها تجيء قصة موسى مع العبد الصالح، وفي نهايتها قصة ذي القرنين »[1]، فالتداخل الذي يلج القصّة الواحدة لا ينفي إنفرادها بسياق سردي خاص لا يتكرر ويرد في بقية الصور القرآنية، ممّا يفرز شكل القصّة المغلقة ويمنحها خصيصة جماليّة تنفرد بها وتأتي عليها في مواضع عدة من القرآن الكريم.

ويتجلى ذلك أيضا في "سورة يوسف" الّتي لم يتكرر من معانيها في القرآن شيء، كما تكررت قصص الأنبياء ففيها حجة على من اعترض بأن الفصاحة تمكنت بترداد القول، وفي تلك القصص حجة على من قال في هذه لو كررت لفقدت فصاحتها[2]، وذلك أن جماليّة القصّة المغلقة تكمن في قضية تكرارها أو عدمه ممّا أثار جدل فصاحة وركاكة القالب السردي الذي تأتي عليه، فأصبح ذلك يشكّل عنصرا وسمة جماليّة فنية للقصة المغلقة، ونظريتها من القصص عموما، والقصص القرآني على وجه الخصوص الذي اتسمت آياته بصفة "مبين" أي من جهة بيان اللسان العربي وجودته.

وتأتي القصّة المغلقة أيضا في «سياق قصصي مفتوح تضمه السورة الواحدة، آداءً لمغزى تبليغي، من ذلك قصة سليمان والملكة بلقيس الّتي تخللت بفضائها السردي العريض نسقا قصصيا كان المدى السردي فيه أقل مساحة ممّا هو عليه مع القصّة المحورية»[3]، فليس تكرار الأحدث وحده ما يحدد سمة القصّة المغلقة وطريقة بناءها وولوجها في النّص القرآني، فقد يكون السياق مفتوحا في سورة واحدة ممّا يمنح هاته الأخيرة "القصة المغلقة"، فضاء سرديا عريضا لتأدية أكثر من مغزى، وترسيخ القيم الّتي تسعى لإيصالها للمتلقي.

---

(1)– سيد قطب: في ظلال القرآن، ج 12، مج 4، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط2، ص 226.

(2)– عبد الرحمان الثعالبي: جواهر الحسان في تفسير القرآن، ج2، ط1، دار الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ص 244.

(3)– سليمان عشراتي: الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السّرد الإعجازي، ص 71.

ب- القصّة المفتوحة:

لقد وردت القصّة في القرآن الكريم مميزة بسماتها الخاصة، وبناءها المبهر، على وجهين: القصّة المغلقة – كما سبق ذكرها – وأيضا القصّة المفتوحة، حيث يعتبر هذا التصنيف أحد أهم الأبحاث الّتي تقصى فيها المفكر "سليمان العشراتي"، فالقصة المفتوحة «هي الّتي لا تتوفر فيها شروط القصّة المتكاملة من بداية ونهاية وشخصيات معروفة وإنما تسرد مجموعة من المواقف واللمحات الإنسانية، أو الإشارات موجزة لقصص بعض الشخصيات»[1]، أي أنّها لا تأتي على شاكلة واحدة بل تتعدد مواضع ذكرها في القرآن الكريم وذلك حسب المناسبة الّتي سيقت من أجلها، إتماما للصورة العامة الّتي يقررها القرآن في قصصه،[2] ذلك أن القصّة المفتوحة تتخذ من السياق السردي فضاء للحدث القرآني، أي أنّها تتشكل من جملة التنويعات الإخبارية من سير أنبياء، وأخبار رسل، وأقوام، لها سمة تواترية تتكرر في أكثر من موضع، في صور مختلفة ولأغراض متعددة في ما يمنحها سمة الانفتاح كخطاب.

ومن هذا النطلق اعتقد بعض الدارسين أن في القصص القرآني تكرار ، «لأن القصّة الواحدة، قد يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنّه ما من قصة، أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق، وإنه حينما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار»[3]، كون هذا التقسيم والتوزيع مقصود من الله عز وجل، لأنّ ذكر القصّة الواحدة في أكثر من موضع ليس تكرارا، إنّما هو استجابة للأحداث والمواقف والغاية الّتي سيقت من أجلها القصة، ضمن النمط العام لأغراض القصص الواردة في السورة، فمتلقي القرآن الكريم، يجد أن التكرار ظاهرة ملفتة للنظر، «فبعض القصص القرآني لم يذكر إلا مرة واحدة، وبعضه الآخر ذكر أكثر من مرة، ولعلنا، ونحن نقرأ هذا القصص– ندرك السبب في ذلك، فالقصة الّتي ذكرت

---

(1)– سعاد الناصر: بلاغة القصّ في القرآن الكريم وآفاق التلقي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الدوحة – قطر –، ط1، 2015، ص 38.

(2)– ينظر: سليمان عشراتي: الخطاب القرآني، مقارنة توصيفية إجمالية السّرد الإعجازي، ص70.

(3)– سعيد علي عطية مطاوع: الإعجاز القصصي في القرآن الكريم، ص 198.

أكثر من مرة في كتاب الله كانت ذات صلة وثيقة بقضية الدعوة والدعاة إلى الله تعالى»[1]، حيث يعتبر تكرار القصّة منبها للأمة لتستمد منها روحها ومنهجها.

وقد ترد القصّة المفتوحة، «ضمن نسق قصصي، أو منظومة تتابع فيها القصص في نطاق السورة الوحدة، حيث يستعرض الخطاب القرآني قصة محورية مقرونة بغيرها من قصص الأنبياء والرسل في مسافات متفاوتة، بعضها يأتي على شيء من التفصيل وبعض آخر يجتزئ فيه الخطاب بالإشارة التذكيريّة الوجيزة، كما هو الحال في منظومة القصص الّتي وردت في سورة الأنبياء»[2]، فهذا التفاوت في العرض سواء طولا أم قصر يكون بحسب الحاجة الّتي يستدعيها السياق كل مرة،[3] ومثال ذلك سورة الأنبياء الّتي تضمنت مجموعة من القصص والحكايات، ترتبط بحياة الأنبياء ومجتمعاتهم وسلوكاتهم، كسيدنا إبراهيم وسيدنا نوح ولوط، وأيوب، وسليمان عليهم السلام...، «لكن إمتازت قصة إبراهيم بالسعة السردية، بالنظر إلى ما أعقبها من قصص تفاوتت أحجامها»[4]، وتميزت بقصرها وعرضها السريع، على غرار قصة إبراهيم عليه السلام[5] الّتي حازت على سعة سرديّة كبيرة في السورة حيث احتوت على عناصر حوارية مثيرة وفعالة وتفصيلات كثيرة لمواقف وأحداث دارت حولها القصّة الّتي كان موضعها هو تهشيم الأصنام.

وقد تأتي أحيانا القصّة المفتوحة ضمن نسق قصصي يتوازن فيه حجم السّرد القصصي، ومثال ذلك منظومة القصص الواردة في سورة الشعراء؛ إذ بدت لنا متفاوتة، فجاءت قصة موسى عليه السلام بفضاء سردي واسع،[6] ثمّ تلتها قصة سيدنا إبراهيم أقل انتشارا، ثمّ خضعت المنظومة القصصية بعد ذلك إلى توازن الحجم، واتحاد المغزى.

---

(1)- فضل حسن عباس: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، دار الفرقان، عمان – الأردن –ط1، 1987م، ص 23.

(2)- سليمان عشراتي: الخطاب القرآني، مقارنة توصيفية لجمالية السّرد الإعجازي، ص 71.

(3)- ينظر: محمود البستاني: قصص القرآن الكرين دلاليا وجماليا، ج2، ص 41.

(4)- المرجع السابق، ص 71.

(5)- ينظر: محمود البستاني: قصص القرآن الكريم دلاليا وجماليا، ج2، ص 42.

(6)- ينظر: المرجع السابق، ص 72.

فالقصص الذي ورد أكثر من مرة لا نجد منه قصة واحدة يتعدد ذكره كما هي بل تختلف في غرض المشاهد وتأدية الغرض،[1] فنجد فيها ما لا نجده في الأخرى، وصحيح أن هناك قضايا مشتركة ونقاط إلتقاء وتشابك لكن هذه القضايا لم تأتي على صورة واحدة وذلك بحسب ما يقتضيه السياق.

ونستخلص ممّا سبق أن النّص الإلهي تميز بأقاصيصه، كونه سلك طرائق عديدة في صياغة مادته السردية، ممّا جعله يؤدي إمتاعا جماليا، وفكريا بالغ الإثارة.

(1)- ينظر: فضل حسن عباس: قصص القرآن الكريم، ص 78.

الفصل الثاني:
أدبيّة الحدث القصصي في الخطاب القرآني

I. الأدبية وبنية الحدث:

1- الشخصيات ومنطق الأفعال.

2- الحدث والبنية الزمانية.

3- الحدث واستعراض المكان.

4- الحوار ودوره في بناء الحدث.

II. جماليّة الأسلوب في الحدث القصصي:

1- الرمزيّة في الحدث القصصي.

2- التصوير الفنّي في الحدث القصصي.

3- الإيقاع الموسيقي في الحدث القصصي.

4- الحدث القصصي وآفاق التلقي.

أدبيّة الحدث القصصي في الخطاب القرآني:

لقد تكاثفت الدراسات العربية والغربية على النوع القصصي من خلال تحليل أعمال قصصية عظيمة، عبر تشريح مكوناتها والبحث في عناصرها، والتفصيل في جزئياتها، وظهر على إثرها الكثير من الأسماء الفكرية والنظريات الأدبية الّتي تمكنت من تحديد المكونات الرئيسية، وأخرى ثانوية تتفاوت في القوة والحضور حسب العمل الأدبي.

وكان للقصة في القرآن الكريم حضورا واسعا واستعمالا مكثفا، فلا تكاد تخلو سورة منه، من تلميح أو إشارة، أو تفصيل لقصة تنوعت معالمها، وتوحدت أغراضها وأهدافها، فالقصة القرآنية حقيقة جماليّة بديعة مبهرة تختلف كل الاختلاف عن جماليّة القصّ الأدبي في ميزات عدة، لما اكتنزته من جمال وإبهار وتأثير في آن واحد؛ حيث جمعت بين وظائف عقلية تربوية تبليغية وأهداف حسية تأثيرية بأساليب مبتكرة متفردة، غرض إيصال مضامين ورسائل وقصص توحيدية ألوهية.

مما جعلها تختلف وتنفرد عن سائر الفنون الأخرى النمطية، وتأخذ مكانها الخاص في كتاب الله العظيم، فكان الجمال الفنّي القرآني أداة ووسيلة لإيصال الغرض الديني وترسيخ الشيم الأخلاقية لمراد بعثها والعمل بها، إثر مبادئ الدين الجديد، وهو ما قلب المعايير وجعل المقاييس الفنّية النمطية، تختلف في سياق القرآن الكريم، حتى ارتسم جماليات مختلفة، أثرت بصورة أبلغ وأقوى على المتلقي.

I. أدبيّة الحدث القصصي في الخطاب القرآني:

يعتبر الحدث من أهم العناصر الرئيسية الّتي تعمل على تشكيل وبناء العمل القصصي، فهو المحور الذي تدور فيه الشخصيات عبر مواقفها، وعلاقتها مع باقي العناصر كالزمان، والمكان، والحوار، لتصنع النسيج البنيوي للقصة، فتشد المتلقي وتوّلد فيه الإثارة والتشويق. هذا ما جعلنا نخوض غمار البحث في أهم العناصر المكونة للقصة، وتقصي جمالياتها.

1- الشخصيات ومنطق الأفعال:

تحضى الشخصية بأهمّية كبيرة في بناء القصّة وضبط حركات الأحداث وانتظام خطاها، فهي تعد الروح الذي يسري في كيان العمل القصصي، فمفهومها: «ليس مفهوما أدبيا" محضا، وإنّما هو مرتبط أساسا بالوظيفة النحوية الّتي تقوم بها الشخصية داخل النّص، أما وظيفتها الأدبية فتأتي حين يحتكم النّاقد إلى المقاييس الثقافية والجمالية»[1]، فهي بمثابة الفاعل في العبارة السردية، فالقصة لكي تُروى تكون بحاجة إلى شخصية موضوعة في زمان ومكان خاصين بها.

فالشخصية هي الّتي تبعث الحياة والحركة في الحدث، وتؤدي الهدف وتظهر المغزى فلا يمكننا التفرقة بين الشخصية والحدث، «لأن الحدث هو الشخصية وهي تعمل أو هو الفاعل وهو يفعل»[2]، كونها عنصرا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنها في بنية القصة، ويختلف عمل الشخصية ودورها في نسج العمل القصصي، وذلك حسب نوعية العمل والفكرة الّتي يريد الكاتب إيصالها وبثها في المتلقي، فيوجز أعمال قصصية تكون فيها الشخصية سيدة الموقف فإذا بها تصنع الأحداث وتوجهها.

أمّا في القصّة القرآنية يختلف الأمر، حيث صار البطل هو (الفكرة) أو (المضمون) أو العبرة، كون القصّة سيقت من أجل خدمة الإسلام وإيصال الرسالة المحمدية، واعتبارها وسيلة من وسائل الدعوى إلى الله تعالى؛ فالتركيز لا يكون على الشخصية أو الحدث بقدر ما يكون هذا التركيز خادما للفكرة ومرسخا لها في ذهن المتلقي[3].«فذكر أسماء الأشخاص، وما لهم من صفات جسدية، أو نفسية، أو عقلية ذلك من شأنه أن يرفع لعيني القارئ أو السماع للقصة، صورة حية، لها وجود حقيقي، أو ما يشبه أن يكون حقيقيا»[4]، فالشخصية في القصّة القرآنية ليست مقصودة في ذاتها فهناك طرق متعددة للتعرف عليها، من أفعال تقوم بها وأوصاف توصف بها.

---

(1)- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت -لبنان- ط 1، 1990، ص 213.

(2)- رشاد رشدي: فن القصة القصيرة، مكتبة الأنجلو المصرية للنشر، القاهرة -مصر- ط1، 1964، ص 30.

(3)- ينظر: فالح الربيعي: للقصص القرآني رؤية فنية، دار الثقافة، للنشر، القاهرة -مصر- ط 1، 1422هـ/2002م، ص 32.

(4)- عبد الكريم خطيب: القصص القرآني في منطقه ومفهومه، ص 95.

فإن «كانت من الشخصيات الّتي تدور حولها أحداث القصة، كان لابد من الكشف عنها بأن يذكر صاحبها، وإن كان ذا موقف لا يتجاوز حواشي القصّة ولا يبرح أطرافها، فليس من الضروري أن يذكر شيء عنه، إذ يكفي أن يقال عنه أنّه واحد من آحاد الناس، يؤدي الدور الذي وُكّل إليه القيام به في العمل القصصي»[1]، فهناك علاقات قائمة بين الشخصيات وهي تقوم بدور كبير في الكشف عن طبيعة الشخصية.

وقد تنوعت الشخصيات في القصص القرآني، فلم يكن مصدرها دائما هو الإنسان، بل اشتركت فيها عناصر متباينة، فنجد شخصيات عديدة منها: الجن، الملائكة، البشر، الشيطان، في قصة استخلاف آدم عليه السلام، قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ سورة البقرة/الآية:30-37.

هذه الآية الكريمة تتحدث عن قضية استخلاف الله تعالى لآدم عليه السلام على الأرض ويقابلنا في هذه القصة، شخصيات كل لها دورها بدءا من آدم عليه السلام بطل القصّة ومحورها الذي تدور فيه، وكان لهذه الشخصية الرئيسية، دور متمم مع باقي الشخصيات الثانوية الّتي تمثلت في الملائكة وهي كائنات غيبية مفطورة على الطاعة قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ سورة الحجر/الآية:30، فالملائكة وظيفتهم هي طاعة الله عزّ وجلّ والتسليم له، دون مراجعة.

(1)- المرجع السابق، ص 96.

أما الشخصية الثانوية الثانية هي الشيطان الذي كان يظهر في القصص دائما نموذجا للشرك والكفر والعصيان، وكذلك التكبر على من خلق الله، قال تعالى:﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾ سورة الحجر/الآية:33، ويعد الشخصية السلبية الشريرة الّتي وسوست لآدم عليه السلام وكان سببا في إغواءه وخروجه من الجنة، كما يتجلى لنا هنا عنصر المرأة، في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾سورة البقرة/الآية:20، فالمرأة هنا هي المؤنس والصاحب والجليس و شريكته في سكنى الجنة، وظلت الشخصيات تتفاعل فيما بينها لتصور لنا كيفية استخلاف آدم عليه السلام في الأرض، وتحمل لنا القصّة بين طياتها عبرا ومواعظ كثيرة منها تبيان عظمة الخالق عزّ وجلّ، وإبراز وظيفة كل من الملائكة الّتي ميزتها للطاعة المطلقة اللامحدودة، والشياطين الّتي امتازت بالعصيان المطلق اللامحدود لله عزّ وجلّ.

وشخصية آدم عليه السلام الشخصية البشرية الّتي امتازت بين هذا وذاك، فهي ليست كالشيطان بعصيانه المطلق ولا كالملائكة بطاعتها المطلقة، بل جمعت بينهما –طائعة لله عزّ وجلّ وعاصية له– وبهذا تبين لنا من خلال القصّة التركيبة البشرية الّتي خلقها تعالى لحكمة منه، فمن تبع هدى الله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن أظلوا سيجزون ما كانوا يعملون، قال تعالى:﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ سورة البقرة/: الآية:38-39.

وكما أسلفنا الذكر أنّ القصص القرآني فيه تنوّع الشخصيات، وهذا ما تصوره لنا سورة النمل، حيث نعرج إلى دراسة مشهد من أحداث قصة سليمان عليه السلام، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ سورة النمل/الآية:20-21، تبرز لنا الآيات الكريمة سمات شخصية النبي سليمان عليه السلام من فطنة في تفقده لغياب الطير وحزمه في الأمر، حين قال لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه، ولكن الملك والسلطة، وحزمه في الأمر لا يجعله متسلطا جبارا حيث قال: ﴿أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ سورة النمل/الآية:21، فتبرز لنا

الحنكة والتريث قبل حكمه في الأمر، ويأتي الهدهد بنبأ عظيم ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ سورة النمل/الآية:22.

فآلم الهدهد وأغاضه «ما وجده من خبر أولئك القوم الذي تملكهم امرأة ولها عرش عظيم.»[1]ويبرز لنا هنا عنصر آخر هو شخصية المرأة القوية الحاكمة الّتي لها عرض عظيم، لكنها تعبد الشمس من غير الله، قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾سورة النمل/الآية:24، وتعود شخصية الشيطان بوظيفته ودوره السلبي في إغواء البشر، كل شخصية من شخصيات هاته القصص لها دورها البارز وهي تتفاعل، تفاعلا تاما مع سائر الشخصيات الأخرى؛ بحيث نحس بأن هناك سلكا منتظما يجمعها بطل القصّة سليمان عليه السلام، فلا توجد هناك شخصية منعزلة عن أحداث القصة، فهي كالحلقات يكمّل بعضها بعضا.

كما تعرض لنا شتى الحالات النّفسية لهذه الشخصيات؛ شخصية سليمان عليه السلام من عصبيته إلى حكمته وتريثه، وبلقيس ملكة سبأ من قوتها وملكها إلى خوفها من سليمان عليه السلام، قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ سورة النمل/الآية:34، والهدهد من خوفه من نبي الله عليه السلام إلى يقينه في حواره معه حين قال ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾، فتطور الأحداث وتغير حالات الشخصيات النّفسية، واستجابتها لما حولها من ملابسات، تعطي جماليّة في القصّة القرآنية وتولد فيها الحيوية، والحركة فتخرج العبرة والموعظة الّتي تكمن في ذكر أنعم الله، وفضله على رسله وأنبياءه خاصة وعلى البشر عامة، فغاية النعمة تستلزم غاية العبودية والطاعة، كما تبين لنا دور الحكمة والعلم والحسم في الأمر في تأسيس البناء الإنساني المحكم.

ونأخذ مثالا آخر تتنوّع فيه الشخصيات في القصّة القرآنية، مشهد من قصة نبي الله موسى عليه السلام وصراعه مع فرعون، حيث تظهر لنا شخصية مبهرة؛ معجزة من معجزات الله تعالى شخصية العصا الّتي تحولت من جماد إلى جزء كبير ساهم في خدمة الدعوة قال تعالى:﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا

(1)- فضل حسن عباس: قصص القرآن الكريم، ص 660.

عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ﴿٢١﴾﴾ سورة طه/الآية:17-21 «فالعصا مثلا تقول القصّة عنها إنها كانت متوكأً يعتمد عليه موسى في مشيه كما كانت وسيلة يخبط بها ورق الشجر لترعاه غنمه، فضلا عن إنها كانت وسيلة يعتمد عليها في حاجات أخرى»[1]، فالذي نجده هو أن الشخصيات لا ترد على نمط معين بل تتطور وتتغير من جماد إلى حيوان.

كما نجد أيضا هذا التغيير في الحالات النّفسية للشخوص، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾﴾ سورة الشعراء/الآية:41، تظهر هنا شخصية السحرة المحبة للمال والجاه، وطلبهم للمال إيزاء التخلص على موسى عليه السلام، لكن سرعان ما تحول الأمر من الكفر إلى الإيمان بالله والتسليم في ملذات الدنيا ومغانمها قال تعالى:﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ سورة طه/الآية:70، بل تحول الأمر أن بلغ بتضحيتهم بالنّفس والنفيس قال تعالى:﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ﴾ سورة طه/الآية:71، وهذا الانقلاب الجذري للشخصيات زاد القصّة تشويقا وديناميةً، فاختتم المشهد بنصرة البطل –موسى عليه السلام– على عدوه –فرعون– وكان هذا انتصارا للحق على الباطل وتحقق العدالة الإلهية. فشخصيتا موسى وفرعون والصراع الذي حدث بينهما ليس الغرض منه سردا لأحداث تاريخية مضت، بل هو الموقف الدائم في سورة مستمرة في الحياة، سنة الله في خلقه، بين الإيمان والكفر والخير والشر والعدل والظلم.

ومن هذا المنطلق نستطيع القول أن الشخصية في القصّة القرآنية ليست مقصودة لذاتها بل المقصود التركيز على العبرة والهدف من إحضارها، إضافة إلى ذلك أنها تثير الامتاع الفني، من خلال التصوير الحسي للمتلقي الذي تجعله يتخيل المشهد ويراه متحركا وبارزا شاخصا في مخيلته.

(1)– محمود البستاني: قصص القرآن الكريم دلاليا وجماليا، ج2، ص12.

2- الحدث والبنية الزمانية:

يعتبر الحدث من أهم العناصر الّتي تشكّل البناء الفنّي للقصة فهو «كل ما يؤدي إلى تغيير أمر أو خلق حركة أو إنتاج شيء»[1]، ففيه تتطور المواقف وتنمو، وتدور الشخصيات وتتبلور، «فكل ما في نسيج القصّة من لغة و وصف وحوار وسرد، يجب أن يقوم على خدمة الحدث، فيساهم في تصوير الحدث وتطويره بحيث يصبح كالكائن الحي له شخصية مستقلة يمكن التعرف عليها»[2]، وهكذا تصل الصّورة إلى ذهن المتلقي بوصف المواقع الّتي تدور فيها الأحداث ورسم المشاهد، فتؤدي بذلك إلى خلق الأثر المطلوب و«دراستنا للزمن السردي، تعني أساسا دراسة العلاقات القائمة بين زمن المدلول وزمن الدال، بين زمن القصّة الّتي وقعت بالفعل وزمن السّرد الذي يعيد صياغتها، لا كما وقعت وإنما كما يريد السارد، تركيزا على أحداث، وتركا لأحداث أخرى»[3]، بغرض التّأثير في المتلقي وإثارة وجدانه وذلك لدعم مضمون القصّة وإيصال مفاهيمها ومقاصدها.

وهكذا تكمن أهمية الزمن، فإذا كان زمن القصّة تاريخيا فإنّها من المنطقي تخضع لتسلسل الأحداث وترابطها وتتابعها تتابعا عقلانيا وفقا لتسلسلها الزمني، فزمن السّرد لا يرضخ لأي قيد من ذلك فيؤدي إلى حدوث ما سماه "جيرار جينت" "gérard genette" «بالمفارقات الزمنية الّتي تعني ذكر الحادثة الماضية في معرض الحاضر أو المستقبل، فهي تقوم على مختلف أشكال التنافر الزمني بين ترتيب القصة، وترتيب الحكاية وهذه المفارقات قد تكون هي بدورها استباقا لأحداث لاحقة»[4]، والذي «يعني سرد حدث مستقبلي بالتّكهن به»[5]، أو استرجاعا لأحداث مضت وهذا الشكل الزمني الأكثر تكرارا في مستويات السّرد الواقعي.

---

(1)- لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان،ط 1،2002، ص74.

(2)- رشاد رشدي: فن القصة القصيرة، المرجع السابق، ص 115-116.

(3)- محمد خضر: سرديات الخطاب القرآني، ج1، ص119.

(4)- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص119.

(5)- نبيل حمدي الشاهد: بنية السّرد في القصة القرآنية، سليمان فياض نموذجا، المجلس الأعلى للثقافة للنشر، القاهرة - مصر- (د. ط)، 2016، ص 212.

ويعرّفه "جينت" «هو كل ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة الّتي نحن فيها من القصة»[1]، وبذلك تبقى المفارقات الزمنية أساس يقام عليه كل تحليل زمني يبغي الكشف عن علاقتين أساسيتين، هما الاسترجاع –وهو خاص بعمل الذاكرة– والاستباق الذي يعد أداة فنيّة تساعد على التشويق وإضفاء المتعة للقارئ وكسر الزّمن المضارع وخرقه.

وقصص القرآن الكريم مليئة بالمفارقات الزمنية ولا نتخير قصة محددة بل نعرج إلى دراسة أحداث قصصية مختلفة، كون القصص القرآني ينظر إلى الزّمن على أنّه اليد الحاملة للأحداث والمحركة لها، ويتجلى الاستباق في القصص القرآني على الشكل التالي: استباق خارجي: «وهو استباق يدفع بالسرد إلى نهايته المنطقية ويقدم ملخصا سريعا للقصة وهو بهذا يجعل وظيفته ختامية تتمثل في بيان نهاية القصّة وما تؤول عليه الأحداث»[2]، وبذلك تظل سعته كلها خارج النطاق الزمني للحكاية الأولى.

ومثال هذا أقصوصة "أبو لهب وامرأته" الّتي امتازت بانحراف بطليها وقِصرها من حيث لغتها السردية، تعتمد على بطلين سلبيين هما أبو لهب وامرأته، استهلت القصّة باستباق خارجي قال تعالى:﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ سوة المسد، والملاحظ في هذه الأقصوصة أنها استشراف من بدايتها إلى نهايتها، فهي إستباقات لأحداث ستقع يوم القيامة، وإشراف لما سيناله أبو لهب وامرأته من خسارة في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ وقد ورد في الأقصوصة صيغ تدل على الاستباقية (سيصلى، ما أغنى عنه ماله...) أما النوع الثاني من الاستباق؛ هو الاستباق الداخلي يمثل استباقا قريبا لا يستغرق مداه سوى لحظات أو أيام.

عكس الخارجي الذي يتميز بمديات بعيدة تستغرق شهورا، أو سنوات أو مراحل طويلة من الزمن، فالاستباق الداخلي يسير في خط واحد مع أحداث الحكاية الأولى، وهو بدوره

---

(1)– المرجع السابق، ص212.

(2)– بشار إبراهيم: البنية الزمنية في القصة القرآنية (الاسترجاع والاستباق)، دار الكتب العلمية للنشر، د ب، ط 1، 2011، ص89.

ينقسم إلى تكميلي وتكراري؛ أما التكميلي، فعمله هو سد فجوات لاحقة تعوّض عن حذف أو نَقصات مقبلة.

أما التكراري لا يوجد إلا في حالة تلميحات، ونأخذ مثال للاستباق الداخلي قصة سيدنا موسى عليه السلام مع العبد الصالح، القصّة الغيبية العجائبية، جاءت في موضع واحد من القصص القرآني، تروي لنا قصة رسول موحى إليه، وقصة عبد صالح آتاه الله رحمة وعلما من عنده، ولكل خصوصيته تبدأ الحكاية بمشهد استباقي داخلي ارتبط بحدث موسى الذي قرر الذهاب لملاقاة العبد الصالح، فقال لفتاه:﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ٦٠﴾ سورة الكهف/الآية:20، وهو يعد استباق تكراري أظهر عن حدث سيرد ذكره لاحقا ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ٦١﴾ سورة الكهف/الآية:21

إذ أنّ موسى عليه السلام كان ينتظر هذه العلامة، قال تعالى:﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ﴾ سورة الكهف/الآية:64، أي ذلك المراد الذي كنا ننتظره، فكان هذا المجمع علامة لقاء موسى عليه السلام بالعبد الصالح وتحقق مراده، قال تعالى:﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥﴾ سورة الكهف/الآية:65، ويستمر سير الأحداث إلى أن يلتقي موسى بالعبد الصالح ومن ثمّ يدور الحوار بينهما، وهنا نستحضر استباق آخر في قوله تعالى:﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩﴾ سورة الكهف/الآية: 67-69، إنّ توظيف الفعل المضارع هنا (لن تستطيع، ستجدني) المراد منه تحليل أحداث ستقع في المستقبل لا علم لسيدنا موسى بها، وهذا ما تجسد في قوله تعالى:﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩﴾ سورة الكهف/الآية: 79، فالآية تشير إلى استرجاع في سرد أحداث سابقة لزمن القصة، وهذا ما سنتحدث عنه فيما بعد.

كما نجد أيضا استباق في مقاطع سرديّة من قصة أصحاب الكهف منها قوله تعالى:﴿إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذٗا أَبَدٗا ٢٠﴾ سورة الكهف/الآية: 20، فهنا استشراف لما سيحدث للفتية إن اكتشف أمرهم فالفتية يستبقون الأحداث ويتنبؤون بأنه لو يظهروا عليهم القوم ليرجموهم ويعيدوهم إلى الكفر

والظلال، كما ورد أيضا استباق في قصة صاحب الجنتين، قال تعالى:﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦﴾ سورة الكهف/الآية: 35-36، لفظة "ما أظن" هنا تدل على استباق الرجل وتنبؤه بأن جنته دائمة البقاء، ونجد لفظة (أجدن) في الآية الّتي تليها تممت نفس الوظيفة السابقة.

تتجلى المفرقات الزمنية في القصص القرآني على شكل جملة من الإسترجاعات أيضا وفيها يتواصل السّرد باسترجاع أحداث تعود لزمن مضى قبل زمن السرد، «وينقسم الاسترجاع إلى ثلاثة أصناف: خارجية، داخلية، ومختلطة، الاسترجاع الخارجي هو ذلك الاسترجاع الذي تظل سعته كلها خارج النطاق الزمني للحكاية الأولى»[1]، وتجسد ذلك في سورة يوسف الآية:﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ١٠٢﴾ سورة يوسف/الآية: 102، يعد الاسترجاع في هذه الآية الكريمة استرجاعا خارجيا ختاميا انتهت به القصة، «أوحاها الله سبحانه وتعالى إلى رسوله الكريم صل الله علية وسلم ليخبر قومه وتكون دليلا على نبوته ومعجزة مشيرة إلى صدقه»[2]، فتوظيف لفظة (ذلك) تشير إلى القصّة بأكملها أنّها نبأ من أنباء الغيب، نزلت لتثبت قلب النبي صل الله عليه وسلم.

والوحدة السرديّة "وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون"، استرجاع لزمن سرد حدث كيد الإخوة ومكرهم لأخيهم يوسف عليه السلام، فهذا الاسترجاع الخارجي يبين مدى أهمية القصّة وما تحمله من قيم وأهداف ومواعظ.

أمّا الاسترجاع الداخلي «تظل سعته محصورة داخل النظام الذهني للحكاية الأولى»[3]، وقد ورد بكثرة في القرآن الكريم وهذا ما يضفي جماليّة وحسنا في القصص كونه يعمل على تنوير المتلقي وسد الفجوات وملئ الفراغات الموجودة في القصة.

---

(1)- محمد خضر: سرديات الخطاب القرآني، ج 1، ص 121.

(2)- أية الله جعفر السبحاني: القصص القرآنية دراسة ومعطيات وأهداف، ج 1: 121، ص 426.

(3)- محمد خضر: سرديات الخطاب القرآني، ج 1، ص 121.

ونأخذ حدثا من قصة سيدنا يوسف كمثال على هذا، قال تعالى:﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾ سورة يوسف/الآية:64، تعتبر هذه الآية رد نبي الله يعقوب عليه السلام على أبناءه بعد طلبهم وإلحاحهم في أن يأذن لهم بأخذ أخيهم معهم، قال تعالى:﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣﴾ سورة يوسف/الآية:63، فإجابة يعقوب عليه السلام في قوله لهم: ﴿هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾، تعد إسترجاعية لعهد طفولة يوسف عليه السلام حين أراد إخوته المكر به ورميه في غيابات الجب فقالوا لأبيهم:﴿يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢﴾ سورة يوسف/الآية:11-12، فهناك مؤشرات استرجاعية تستعيد الماضي لدى المخاطب (هل آمنكم، كما أمنتكم، من قبل) فتوظيف هذه الألفاظ تدل على الاسترجاع والعودة إلى الماضي، وكأن هذا المشهد بؤرة أساسية في الحكاية، ولذلك لمّحت إليه مرارا.

أمّا النوع الثالث من الاسترجاعات (المختلطة)، «تكون نقطة مداها سابقة لبداية الحكاية الأولى، ونقطة سعتها متعدية لها»[1]، ومثال ذلك في قصة يونس عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤﴾ سورة الصافات/الآية:143-144، لقد كان يونس عليه السلام كثير الذكر والتسبيح لله عزّ وجلّ.

وهنا نجد في الآية الكريمة حدثا إسترجاعيا في قوله: (كان من المسبحين)، وحدثا استباقيا في قوله: ﴿لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾سورة الصافات/الآية:144، وقد اندمج الحدثان. -الأول والثاني-، ليشكلا استرجاعا إستباقيا سعته آية واحدة فلو لم يكن يوسف عليه السلام من المسبحين لما أفاده تسبيحه في بطن الحوت، ومن خلال هذا نجد الأهمية البالغة والدور الكبير الذي تسهم فيه الاسترجاعات لتشكيل البنية الزمنية وحفظ السيرورة الطبيعية للسرد القصصي في القرآن الكريم.

ومن الدلالات الزمنية أيضا الّتي تعرضت لها القصّة القرآنية ما جاء في قصة يوسف عليه السلام، قال تعالى:﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا

(1)- محمد خضر: سرديات الخطاب القرآني، ج 1، ص 121.

يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ سورة يوسف/الآية:16-17.

إذ كان للزمن هنا وظيفة هامة جمعت بين فضاء القصّ وزمن المشهد في أصل الحكاية، فمجيء إخوة يوسف – عشاءا- يبكون دلالة على إخفاءهم الحقيقة وخوفهم من أن يكتشف أمرهم ولفظة (عِشَآءٗ)؛ تدل على جزء من الليل، وهذا الزّمن يتناسب مع إخفاء مكرهم لأخيهم وغدرهم له، وبهذا كان للزمن أثرا كبيرا في تصوير المشهد السردي.

فالخطاب القرآني أعطى أهمية كبيرة للزّمن حيث إننا نجد تفاعل الزّمن القصصي بالزمن السردي، وبذلك يصبح زمن السّرد هو حاضر الأحداث، ومما يجعل المتلقي يعيش في ضوء من الإثارة والتخييل والاندماج مع أحداث القصة، ينفعل بها ويتفاعل معها.

وهذا التلاحم انّجر عنه أحوال زمنية عديدة نذكرها في ثلاثة مستويات: «الزمن النحوي، ويتمثل في الفنّي الذي تدرج فيه صيغة الخطاب، والزمن التاريخي يحيل عليه الخطاب والزمن الدلالي، وهو الذي يأخذ مضمون الخطاب ضمن سياقه العام في النّص القرآني، كما أننا حين نتحدث عن الزّمن داخل الخطاب القرآني يجب علينا التمييزبين زمنين تاريخي وآخر سردي، المرتبط بحدث الجملة القرآنية ضمن سياقها الدلالي فهما زمنان داخليان، من خلالهما يدخل النّص في أزمنة خارجية: زمن الوحي، زمن القارئ، زمن تاريخي موضوعي (عصر موسى)...الخ»[1]، فالميزة الّتي حضي بها الحدث القصصي القرآني من خلخلة في البنية الزمنية، أضفت عليه طابع الأدبيّة، هذا التّلاعب المذهل هو خاصية انفرد بها عن سائر الفنون والآداب الّتي عرفها العرب، فالزمن هو اليد الحاملة للأحداث والمحركة لها، لا تكتمل القصّة إلا بوجوده.

3- الحدث واستعراض المكان:

يكتسب المكان في القصّة أهمية كبيرة ويعد مكونا رئيسيا في بنية السّرد القصصي «بحيث لا يمكن تصوّر حكاية بدون مكان، فلا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل

(1)- ينظر: سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ص 96-97.

حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين»[1]، فالمكان الذي يمثل الخلفية الّتي تقع فيها أحداث القصّة «والعالم الفسيح يخضع لمنظومة إنسانية عقلية تقسمه إلى مناطق وإلى عوالم منفصلة أو متصلة، لكل منها قوانينها الخاصة الّتي تحكمها، وبالإضافة إلى هذا التصور للمكان بأنه حامل لمعنى ولحقيقة أبعد من حقيقته الملموسة»[2]، فهو يضفي للقارئ مساحة من الفكر تجعله يحلق بخياله في تصوّر الأحداث والوقائع الّتي تثير وجدانه وأحاسيسه.

وعرّفه "لوتمان" "yori lotman" بأنه «مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر أو الحالات، أو الوظائف، أو الأشكال المتغيرة...الخ، تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية (مثل الاتصال، المسافة...الخ)، ويجب أن نضيف إلى هذا التعريف ملحوظة هامة وهي أننا إذا نظرنا إلى مجموعة من الأشياء من جميع خصائصها، ما عدا تلك الّتي تحددها العلاقات ذات الطابع المكاني الّتي تدخل في الحسبان»[3]، فالمكان إذا هو فضاء السياقات والأحداث، هو الحيز الذي يحصر أفعال الشخصيات وانفعالاتها ومختلف حالاتها، كما يعد المرجع الذي يشهد على متغيرات وحركات الشخصيات وتطور وضعياتها بمختلف مقاصدها وأدوارها، سواء كان منغلقا أو مفتوحا لماله له من أثر على المتلقي، والمكان في القصّة القرآنية له مدلولات روحية أعمق ومقاصد تأثيرية مخصوصة مختارة بدقة وعناية.

إذ نجد "الكهف" في قصة أصحاب الكهف و"غار حراء" إثر نزول الوحي على رسولنا الكريم مكانان يتسمان بالانغلاق وهذا يخدم السياق الّتي وردت فيه القصة، وبالمقابل لم يخلو القرآن الكريم من ذكر أمكنة مفتوحة: مكة، مصر، فلسطين...الخ وهي أمكنة دنيوية على غرار أمكنة أخرى غيبية: الجنة، السراط، النار، البرزخ، والقرآن الكريم «لا يلتفت إلى المكان في قصصه، ولا يجرى له ذكرا/.../ إلا إذا كان للمكان وضع خاص يؤثر في سير الحدث،

---

(1)- محمد بوعزة: تحليل النّص السردي (تقنيات ومفاهيم)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت -لبنان- ط 1، 2010، ص 99.

(2)- سيزا قاسم: بناء الرواية، هيئة الكتاب للنشر -مصر- ط 1، 2004، ص 104.

(3)- يوري لوتمان وآخرون: جماليات المكان، الدار البيضاء للنشر، ط 2، 1988، ص 69.

أو يبرز ملامحه، أو يقيم شواهد العبرة والعظة منه»[1]، وبذلك تأتي الأحداث عارية من تحديد الوعاء المكاني الذي جرت فيه، إلاّ في حالة تخدم الغرض الديني الذي سيقت من أجله القصة.

ومن هذا المنطلق فإن المكان ذا أهمية كبيرة في القصّة القرآنية جاء بنسب متفاوتة من التركيز،و «يعتبر مادة توصيل، وإيحاء لذلك فهو يأتي صريحا، مباشرا له دلالة مرجعية إشارية»[2]، يستحضر أدبيّة الخطاب القرآني ويضفي عليه رونقا وجمالا وإبداعا.

وتجلت هذه الأهمية المكانية منذ بداية الخلق، فنسوق مثلا على ذلك قصة آدم، قال تعالى:﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ سورة البقرة/الآية:35، ورد في القصّة مكان غيبي غير مدرك لكن الأسلوب التصويري الفذ في تجسيد القصة، والتركيبة الفنّية الهائلة في سرد الأحداث تجعل المتلقي يحلق بمخيلته ويتقرب بفكره من العالم الغيّبي، فالجنة مكان يدل على كل ما هو جميل يقدم العيش السعيد للإنسان ويمده بالحرية والسلام والطمأنينة، فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت،و لا خطر على قلب بشر فيها كل ما يستطيبه الإنسان و يتلذذه قال تعالى:﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ سورة الأعراف/الآية:19.

فالخطاب القرآني عبّر «عن العالم الغيبي بالحسي، وعرض مشاهد اللامرئي بصورة المرئي، فيه أبعاد المكان والزمان بمعانيها الموضوعية القريبة من الإدراك الإنساني»[3]، وأمثلة ذلك كثيرة نذكر منها قوله تعالى:﴿۞مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ سورة الرعد/الآية:35، فذلك التصوير البديع يجعل القارئ يحلق ويسرح بخياله قال تعالى:﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ

(1)- عبد الكريم خطيب: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص 92.
(2)- سليمان عشراتي: الخطاب القرآني مقاربة توصية، الجمالية للسرد الإعجازي، ص 147.
(3)- المرجع نفسه، ص 153.

فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَالِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾﴾ سورة محمد/الآية:15.

فدقة الوصف (أنهار من عسل مصفى، الثمرات، خمر يتلذذه الشاربين...)، كل هذا تعبير عن الجنّة وما سيلقاه العبد المنيب المستغفر، فكلها تحيل إلى مجالية الفردوس والنعيم وفي المقابل يأتي التعبير عن النّار وما سيلقاه الإنسان الشقي من العذاب والذل والحسرة قال تعالى:﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ سورة البقرة/الآية:24، فالنار خزي وندامة وهي دلالة على الحسرة والعذاب قال تعالى:﴿لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ سورة الواقعة/الآية:53-56، هذا ما وعد به الله عزّ وجلّ المجرمين المكذبين والمعاندين، نارا يصلونها خالدين فيها أبدا جزاء بما كذبوا به آيات الله تعالى.

فالنّار والجنّة مكانان غيبيان مفتوحان تكررا في القرآن الكريم أكثر من مرة وفي عدة مواضع فالنّار مكان لحشر الظالمين وتقابلها الجنّة مكان غيبي مطلق أعده الله للمتقين، فالألفاظ التصويرية تخلق مسرحة في ذهن المتلقي، تجعله يغادر من العالم المادي إلى العالم الروحي.

فإدراك مكانية الغيب يقتضي توافق الروح والخيال، فبدراستنا للقصص القرآني نجد أن المكان تجسد على عدة شاكلات إذ لم يكن مستقرا ثابتا بصفة معينة مخصوصة، على العكس جاء هلامي السمات في عدة مواضع، من حقيقي وواقعي إلى أسطوري عجائبي ومن موضعي دنيوي إلى غيبي مجهول، وكذلك أتى لغرض الترغيب والترهيب بين الجنّة والنار، وذكر قدرة الله عزّ وجلّ ونعمته على ما أتى به لخلقه، فقصة "ذا النون" مثلا قصة عجائبية أسطورية معجزة إلهية تجلت فيها عظمة الخالق وقوته في قاله تعالى:﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿١٤٢﴾ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ سورة الصافات/الآية:139-144.

جسدت لنا الآيات الكريمة هنا نوعين من المكان: مكان واقعي موضعي تمثل في الفلك ومكان عجائبي مغلق تمثل في حدق خارق، دلّ على قدرة الله المجسدة في التقام الحوت ليونس عليه السلام ومكوثه في بطنه، و-هذا مكان مغلق عجائبي خارق لما ألفه البشر-، ولو لم يكن من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم الدين ففاعلية تصوير المكان له أثر كبير في تحديد ملامح الموقف، وطبيعة الحدث تستدعي هذه الدلالات المكانية الّتي تعمل على تعميق الصّورة المرسومة في المشهد السردي.

وجاء المكان أيضا على شاكلة ضمنية، غير مصرح به فسورة قريش مثلا عند قراءتها لا نجد تصريحا مباشرا للمكان لكن توجد دلالات عليه قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤﴾ سورة قريش، فالحدث هنا لم يحدد صراحة مكان الحدث ولكن السياق التاريخي للخطاب، يقرر أن الظرف المكاني هو الموطن الذي نزل فيه الخطاب على رسول الله صلّى الله عليه وسلم، «فالقصة صيغت وقريش تتعامل مع رسالة الإسلام تعاملا وسخا، مستجمعة كل قواها وكيدها لمحاربة محمد صلّى الله عليه وسلم ورسالته»[1]، فصحيح أنّه لم يصرح بالمكان تصريحا مباشرا لكن نعلم أن قريش قبيلة النبي صلّى الله عليه وسلم، وأنها كانت تعيش حول البيت الحرام، ومنه نستنتج أن الإطار المكاني هو مكة، ويتخطى الخطاب مكة إلى قوله تعالى: ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾، فلا يزال هنا المكان مضمرا ضمنيا.

ولو عدنا تاريخيا لوجدنا، «أن الحرم أرض مجدبة وقريش تعتمد على التجارة الخارجية في معيشتها وقد هيّأت السماء لهذا البلد رحلتين، واحدة في الشتاء، متجهة نحو اليمن، نظرا لحرارة هذه المنطقة، وواحدة في الصيف، متجهة نحو الشام، نظرا لبرودتها»[2]، ففنيّة القصّة تكمن في التذكير بأنعم الله عزّ وجلّ؛ وكان حضور المكان فيها ضمنيا (مكة، اليمن، الشام...)، واتسمت هذه الأمكنة أنها مفتوحة استهدفت إصلاح الإنسان وتذكيره بفضل الله عليه فكانت الغاية تصوغ مبدأ يتجاوز حدوده الجغرافية.

---

(1)- محمود البساتني: قصص القرآن الكريم دلاليا وجماليا، ص 511.

(2)- المرجع نفسه، ص 512.

مما سبق يتبيّن لنا أنّ الإطار المكاني في القرآن الكريم يغيب ويحضر، يأتي ضمنيا أو مصرحا به، يكون مفتوحا أو مغلقا، بحسب ما يتطلبه الموقف ويستدعيه السياق، يتنوع من واقعي إلى غيبي، إلى عجائبي، فهو يؤدي أثرا فاعلا في العمل السردي، امتاز بلمسته الجمالية الخاصة؛ الّتي ميزته عن دوره في القصص العادي، كون الأدبيّة القرآنية لم تخص المكان من حيث الحيز المادي بل استخدمته لخدمة الغرض الديني وإبراز عظمة الخالق وتوصيل الرسالة المحمدية بتصوير فنّي إبداعي يؤثر في المتلقي، فهو دعامة أساسية لبناء جسد السّرد واكتماله.

4- الحوار ودوره في بناء الحدث القصصي:

يشكل الحوار دعامة رئيسية من الدعامات الّتي يستند عليها العمل القصصي فهو يسهم بشكل كبير في تشكيل جماليّة الخطاب، الذي لا تكتمل معالمه دون وجود هذه التقنية الفنّية الهامة، إذ يعد وسيلة يعتمد عليها القاص أو الراوي لكسر رتابة السرد، ويبعد الملل الذي يتسرب إلى نفسية القارئ من جراء كثافة الأحداث وتراكمها وتدفقها سردا ووصفا، فهذا الأسلوب يعمل على شد انتباه المتلقي وجذبه نحو جو القصّة من خلال مسرحة الأحداث، فهو بمثابة القلب النابض داخل القصّ السردي حيث يضفي على الأحداث حركية وحيوية نوعية، تسهم بشكل فعال في تطور الحراك القصصي، وتساعد على تشكيل البناء الفنّي للحدث بطريقة منطقية، كما يستدل به وعلى الشخصية ومدى نضجها وقدرتها على اتخاذ الموقف المتفرد.

إذن «فالحوار عبارة عن خلاصة وافية شديدة التكثيف والتركيز من الكلام بين أطراف الرواية المشاركين فيها، أو بين الراوي وطرف آخر، فهو كلام منطوق لفظا ومعنى متداول في الحياة اليومية، فيكون بمثابة إشارة أولية للتفاهم والتواصل بين المتحاورين»[1]، لذا فهو يشكّل قناة تواصل بين شخصيات القصّة وكذا بين الشخصيات والمتلقي.

بالإضافة إلى ذلك فهو يعبر عن الواقع النّفسي وما يخالج الشخصيات من مشاعر وانفعالات وقد «يأتي الكلام حوارا يطرح أسئلة أو يقدم أجوبته الحاملة لأدلتها وبراهينها

(1)- محمد صابر عبيد: سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية -سوريا-ط 1، 2008، ص286.

لمنطقها، كي تكون مقنعة في توجّهها لمن تخاطبه أو تحاوره، يأتي الكلام حين يأتي حوارا، مساءلة أو نقدا، يأتي مناقشة قبولا أو رفضا، فهما يصوغ كلاما آخر، وهو بذلك يشير إلى اختلاف المواقف الّتي منها ينبني وبها يصدر»[1]، ومن المفيد الإشارة إلى أنّ النّص القصصي الجيد هو الذي تتظافر فيه العناصر المُشكّلة له وفق إيقاع متناغم يجمع بينهما، بحيث لا يطغى عنصر على وظائف العناصر الأخرى، ومن هذا المنطلق ولضمان نجاح أسلوب الحوار -باعتباره أداة التواصل الحقيقية مع القارئ-، ينبغي أن يتعامل معه الكاتب بفطنة وذكاء وذلك بأن لا يحمّله ثقلا أكثر ممّا يحتاجه، فليس من وظيفة الحوار السّرد والوصف وإنّما يكتفي بإضاءة الجوانب الشخصية باعتبار لغة الحوار تحمل سمات الشخصية نفسها.

ولا يشترط أن يكون الحوار بين عدد من الشخصيات، فقد يرتد الحوار إلى الداخل ويكون بين الشخصية وذاتها أي عالمها الداخلي «عندها يكون الحوار ملفوظا داخليا لا يقف عليه سوى المتكلم والقارئ الذي سيكشفه فيما بعد، وفي هذه الحالة يكون النّص الروائي بين يديه مشرعا لفك ألغازه من خلال فعل القراءة»[2]، وبناء على ما سبق ذكره يمكن أنّ يقسّم الحوار إلى قسمين: الحوار الخارجي (الديالوج)، والحوار الداخلي (المونولوج) وسوف نتقصى أثر هذين النوعين من الحوار في القصّة القرآنية، حيث أن الخطاب القرآني «رسالة سماوية توّجت سلسلة الرسالات الّتي سبقتها ظاهرة تواصل مفتوح على شؤون الإنسان في تجددها، واسترسال تطورها.. ذلك التطور الذي هو أساس الحياة، ومبدأ الوجود»[3]، فهو بني أساسا على هيئة الحوار خاطب عقل الإنسان وفكره ليرسخ فيه مبادئ العقيدة الإسلامية.

أ- الحوار الخارجي (الديالوج):

يدل الحوار الخارجي على الصراع الموجود على مستوى النّص السردي أي التفاعل الحاصل بين الشخصيات القصصية و«الحوار في هذا النوع ليس التواصل اللفظي المباشر

---

(1)- يمنى العيد: الراوي الموقع والشكل، بحث في السّرد الروائي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت-لبنان- ط1، 1986، ص22،23.

(2)- محمد صابر عبيد: سوسن البياني، جماليات التشكيل الروائي، ص 287.

(3)- سليمان عشراتي: الخطاب القرآني، ص 181.

أو الصوت المرتفع بين شخص وآخر ولكن كل تواصل لفظي يجري على شكل تبادل للأقوال»[1]، فهو عامل أساسي في دفع العناصر السرديّة إلى الأمام.

ومن أمثلة هذا الحوار ما نجده في الوحدة السرديّة لسورة الكهف ونأخذ تحاور الرجلين أنموذجا، قال تعالى:﴿*وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ٣٩ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ٤٠ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ٤١﴾ سورة الكهف/الآية:32-41.

بدأ النّص السردي بمقدمة توضح شخصيتي القصّة وأحوالها، وهذا النوع من الحوار يقتصر فيه دور السارد على التقديم لقول الشخصيات المتحاورة، وبعدها يقوم بعرض الحوار مباشرة قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ...﴾، فهذه الآية تعتبر جملة تمهيدية كتعليق بسيط على الشخصيتين، وبعد ذلك يبدأ الحوار ليكشف لنا عن وجهة نظر كلاّ منهما، شخصيةٌ مثالٌ للنفس الإنسانية المغرورة والمتفاخرة بزينة الحياة الدنيا، الجاحدة بأنعم الله عليها، وأخرى مثالٌ للنفس المتواضعة المؤمنة القنوعة المعتزة بعقيدتها السلمية الشاكرة لفضل الله تعالى.

ويقدم لنا هذا الحوار أيضا الصراع الفكري بين الرجلين، «وبهذا يتجسد لنا الفارق الكبير بين العقليتين والاتجاهين في فهم الحياة من خلال الحوار الذي أداره القرآن الكريم بين الرجلين، لنستوحي منه الفكرة الّتي تحكم الموقف في حساب القيم والمعاني الكبيرة في

(1)- أنور مرتجي: سنمائية النّص الأدبي، إفريقيا الشرق، -المغرب-، (د . ط)، 1987، ص 51.

الإسلام»[1]، فنجد المشهد كله حاضرا مشخصا، فقوة الوصف في سرد الأحداث ودقة التعبير في الحوار؛ أدت إلى إحياء المشاهد وإضفاء الحركة في القصة، وإحداث الأثر المطلوب، وهو حوار ينطلق من إيديولوجيا خاصة لغرض تثبيت وتغيير قيم سابقة.

ب- المنولوج (الحوار الداخلي):

إن المونولوج أو الحوار الداخلي، هو حديث النّفس للنفس، لا أحد غير الشخصية ذاتها يمكن أن تسمعه أو تشعر به، فهو موجه من مرسل إلى المرسل نفسه، حيث ينسحب المخاطب إلى داخله، ففي أبسط تعريفاته هو: «أداة تعميق وتحليل واستبطان للشخصية والحدث القصصي، إذ يقوم على نجوى البطل وحديثه مع نفسه، بما يرد على خاطره من أفكار تثير جوانب الموقف وأبعاده»[2]، ويسمى النوع من الحوار كذلك بالحوار الباطني، إذ تعبّر الشخصيات عن ذواتها من خلال أقوال باطنية لا يجاهرون بها غيرهم.

وأمثلة ذلك كثيرة من القصص القرآني، قال الله تعالى:﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ سورة مريم/الآية:22-23، جاء هذا المونولوج على لسان "مريم" بنت عمران عليهما السلام حينما جاءها وجع الولادة عند جذع المخلة، فالحق سبحانه اختار مريم واصطفاها على نساء العالمين، قال تعالى:﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ سورة آل عمران/الآية:42، ووهبها غلاما من عنده -نبي الله عيسى عليه السلام- فكشف لنا هذا الحوار الداخلي الحالة النّفسية الّتي تعيشها الشخصية من اضطراب وقلق وحزن، ويتأكد ذلك في قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ سورة مريم/الآية:24-25، كما يرد الحوار الداخلي أيضا على هيئة دعاء ومثال ذلك ما جاء على لسان يوسف عليه السلام:﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ سورة يوسف/الآية:33، في هذا الحوار تكمن أدبيّة الخطاب القرآني وجماليته في اختراق أساليب الحوار

---

(1)- آية الله العضمى السيد محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن الكريم، دار الملاك للنشر، بيروت -لبنان- ط5، 1997، ص 348.

(2)- يوسف نوفل: قضايا الفنّ القصصي، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، (د . ط)، 1967، مقدمة الكتاب.

العادية فهو حوار نفسي داخليّ لكن أبعاده روحية غيّبية بين يوسف وربه، جاء هذا المونولوج بعد مراودة النسوة ليوسف عليه السلام، فالمسوغ لهذا النمط من الحوار، هو مواجهة البطل لتجربة خاصة جعلته يحاور ذاته ويناجي ربه ليكشف عنه السوء والفحشاء، ويصرف عنه كيد النسوة كي لا يضعف أمامهن ويعصي خالقه.

فكشف لنا هذا الحوار الداخلي على المحتوى النّفسي لشخصية يوسف عليه السلام من قلق وخوف في الاستجابة للنسوة والوقوع في مكرهن، كما أظهر عن سلوك النسوة السيئ لمحاولتهم إقامة فعل غير مشروع، ومراودة يوسف عليه السلام عن نفسه، وهذا النوع من الحوار يستقطب القارئ ويجذبه نحو القصّة من خلا مسرحة الأحداث، فيتولد حوار نفسي داخلي بين المتلقي وذاته، وهذا ما يسعى إليه الخطاب القرآني في رسالته، التّأثير في المتلقي وتربيته وتهذيب سلوكياته، لينتظم المجتمع ويسري قانون الخالق عزّ وجلّ في الكون.

فالخطاب القرآني تعرّض إلى شتى أساليب الحوار، ونوع في عرضها وغايتها، ذلك أنّ هذا التنوّع له فاعليته في تطوير أحداث القصّة وتصوير شخصياتها، وإعطاء الجو العام لها، وقد اختلفت عناصر هيكلة الحوار من سياق لآخر، حسب المقام الذي يقتضيه الحدث فأدبية الخطاب القرآني خاطبت الحيوان والجماد والغيبيات، مخاطبتها للإنسان وبذلك أصبح النّص القرآني إطارا حواريا مفتوحا للكون ككل.

II. جماليّة الأسلوب في الحدث القصصي:

عرّف العرب قديما الكلام شعرا ونثرا، والمتأمل في كتاب الله يجد أنّه جاء على شاكلة مختلفة لم يألفوها؛ بل نزل بأسلوب جماليّ بديع، هذا ما جعله يسمو قداسة ويعلو مرتبة، ويؤدي تأثيره في وجدان المتلقي. ومن هذا المنطلق جعلنا من أدبيّة الأسلوب القرآني وجماليته وتناسقه الفنّي في قصصه موضوع درستنا.

1- الرمزية في الحدث القصصي:

تعتبر اللغة الراقيّة للقرآن الكريم، إحدى أهم مكامن الجمال والرونق فيه؛ حيث أنّها لغة زاخرة بالدلالات والمعاني القوية، ومنها ما يبدو جليا للمتلقي، ومنها ما يظل عصي الفهم والتأويل، يتم إدراكها فقط بالتدبر والتأمل. إنّ «الكلام إذا حمل قدرا مناسبا من تلك المضامين المتخفية بلطف وحكمة، كان ذلك من أمارات بلاغته، وعلو درجته في الفصاحة والبيان، إذْ كان من الثراء والغزارة والامتلاء بحيث تنثال المعاني من ظاهره وباطنه جميعا، بحيث يعطي بكلتا يديه معا»[1]، ممّا يعني أن الدلالات المكثفة في الكلام دليل على بلاغته ورمزيّته، تماما مثلما يحتمل القرآن العديد من المعاني، دون أن يُخل ذلك بمقاصد وأغراض نزوله.

ولطالما ادعى الكثير من الباحثين أن الزعم بالرمزية في القرآن هي تقليل من شأنه وافتراء يدخلنا في متاهة عدم تناسق القرآن ودقته، غير أننا نؤكد هنا على صحة ذلك الادعاء، ولو لم تكن هذه الرمزيّة لما كان القرآن صالحا لكل مكان وزمان، يستوعب شتى القراءات والتحليلات، والدليل على صحة مزعمنا، تعدد التفاسير واختلافها مع كل عصر، بحيث تأتي التفاسير المتواترة، بإضافات جديدة لم تتوفر في التفاسير الّتي سبقتها.

إن قوة الرمزيّة الّتي يحظى بها القرآن الكريم، خاصة فيما يتعلق بالأحداث القصصية جعلته يحقق ارتباطا وثيقا بين النّص والمتلقي «فالخطاب القصصي من أهم الفعاليات التواصلية في التّأثير على النفوس والسيطرة على الأفئدة، فهو يشكّل عاملا مهما في إنجاح

(1)- عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار المعرفة، ص 322.

أية دعوة من الدعوات الّتي يراد بثها وإبلاغها للمخاطبين»[1]، إذ أن المتلقي بحاجة ماسة لتأمل الأحداث القصصية القرآنية وتدبرها من أجل استنباط أكبر قدر ممكن من الدلالات والمعاني، الّتي تبين له سبل تحقيق مهمة الاستخلاف في الأرض.

من بين المواضع الّتي تجلت فيها رمزيّة الحدث القصصي القرآني، قصة ابني آدم، حيث يقول الله تعالى:﴿*وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ ..٣٢﴾ سوة المائدة/الآية:27-31.

وردت هذه الأقصوصة ضمن السياق السردي المفتوح للقصة الإطار وهي قصة موسى وقومه بني إسرائيل[2]، ولقد جاء ملخص تلك القصّة القصيرة في النّصوص المفسرة أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى الآخر، وأن هابيل أراد أن يتزوج بأخت قابيل، وكان قابيل أكبر سنا من هابيل، وكانت أخت هابيل أقل حسنا وجمالا من أخت قابيل، فرفض قابيل الزواج من أخت هابيل، وآثر أن يتزوج من أخته هو، لجمالها وحسنها، حيث كان يرى نفسه أحق بها من هابيل، فأمرهم آدم عليه السلام بتقديم قربان لله عزّ وجلّ، فتُقبل قربان هابيل ولم يُتقبل قربان قابيل، حيث نزلت نار من السماء أكلت قربان هابيل، وكان هابيل قد قدم كبشا ضخما، أما قابيل فقرب حزمة من الزرع الرديء، غضب الأخير وحسد أخاه وقرر قتله حتى لا يتزوج بأخته، فرد عليه هابيل بأن الله يتقبل من المتقين وأنه لن يبسط يده لقتله كونه

(1)- لطفي فكري محمد جودي: جماليّة الخطاب في النّص القرآني، ص 133.

(2)- ينظر: محمد سيد طنطاوي: القصة في القرآن الكريم، ج1، دار نهضة -مصر- ط 1، 1996، ص 41.

يخاف ربه[1]، لم يأت في الآيات ذكر هذه التفاصيل الّتي وضحتها التفاسير، نقلا عن الكتب الإسرائيلية ولذلك نحن لا نجزم بصحتها.

لكن الآيات الّتي سردت أحداث الأقصوصة اُستُهلّت بفعل الأمر ﴿وَٱتۡلُ﴾ الموجه للرسول صلّى الله عليه وسلم حيث أمره الله تعالى بأن يسرد قصة ابني آدم للمتلقين الذين هم وفق سياق السّرد اليهود المقصودين بـ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ بعدما همّوا ببسط أيديهم للاعتداء على النبي صلّى الله عليه وسلم، وهذا يعني أن القصّة نزلت في موقف يستدعي الاتعاظ وأخذ العبرة.

فالحدث القصصي هنا له رمزيته الخاصة القوية الّتي تجعله قابلا للعديد من الدلالات والتفسيرات الصالحة في كل زمان ومكان، حيث أن الفكرة الجليّة الّتي تحملها القصّة لأي متلقٍ هي حادثة قتل أحد أبناء آدم لأخيه حسدا من عند نفسه، وطمعا في أن يكون هو الأفضل، لكن المعاني المتخفية بحكمة خلف القصّة هي دلالات مكثفة تحتاج إلى تفكيك شفرات الخطاب، لكي نستطيع الوصول إليها.

والخطاب هنا يحمل شفرات عديدة أولها القربان، أي الصدقة الّتي يُتَقرب بها إلى الله عزّ وجلّ، إذ لم تذكر الآيات تفاصيل القربان الذي قدمه الأخوان، من حيث الشكل المادي، وهذا دليل على أن القيمة المادية للصدقة غير مهمة وإنما الأهم هو الإخلاص في النيّة والرغبة النّفسية أي الحاجة للتقرب من الله عزّ وجلّ[2]، والله تعالى لا ينظر إلى القيمة المادية الّتي يبذلها الإنسان للتقرب منه، بل ينظر إلى القلوب وما عزمت عليه، وذلك ما يتضح في الحدث القصصي المسرود هنا، وفي غير ما موضع من القرآن الكريم يقول الله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢﴾ سورة البقرة/الآية:262، ويقول الله تعالى أيضا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾ سورة

(1)– ينظر: أبي الفداء إسماعيل بن كثير: قصص الأنبياء، دار الفكر، بيروت –لبنان– ط 1، 1973، ص 57،58.

(2)– ينظر: محمود البستاني: قصص القرآن الكريم دلاليا وجماليا، ج 1، ص 170.

البقرة/الآية:267، ويقول أيضا:﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢﴾ سورة آل عمران/الآية:92.

فمن خلال هذه الآيات يتضح لنا أنّ الله تعالى لم يلزمنا بقيمة مادية معينة كقربان له، إنّما ألزمنا بالصدق وإخلاص النية له سبحانه وتعالى، لكنه نهانا عن البخل وإنفاق الرديء من الصدقات، فالعبد الصادق الذي يرغب في التقرب من الله بقربانه لن ينفق الرديء والقليل ممّا يحب ويملك، أمّا الشخص البخيل فلا يَصْدُقُ نيته لله، يقول الله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨﴾ سورة محمد/الآية:38.

لم يذكر في بداية الحدث القصصي سبب عدم تقبل الله القربان من أحد الأخوين على لسان الخالق عزّ وجلّ بل جاء ذكر السبب على لسان الابن الذي تُقبَّل قربانه حين قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾؛ أي أن هذا الأخير كان أشد تقوى من أخيه، والتقوى هي رمز مكثف الدلالات، لا تتوفر في أيٍّ كان، بل يجب أن يستوفي شروطا تتضح حسب تسلسل القصة؛ وهي الخوف من الله عزّ وجلّ، حين قال المقتول: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فالخوف من الله دليل على استشعار معيّته في كل صغيرة وكبيرة.

ثمّ إن الحدث القصصي صوّر لنا نموذجين بشريين في أول حالة عنف شهدتها البشرية، وهي عملية القتل بكل ما تحمله من دلالات وعبر، حين قال الابن الذي لم يُتقبّل قربانه لأخيه ﴿لَأَقۡتُلَنَّكَ﴾، فالإقدام على هذا الفعل الشنيع في هذا الموقف بالذات دليل على أن الفاعل ليس في حالة نفسية سويّة، وغياب سبب مقنع للإقدام على القتل هنا دون أن يَهُمّ الطرف المقابل للاعتداء أولا؛ يعني أن الآية تحمل معان غير مصرح بها تُفهم من نسق الحدث القصصي، وهي أن القاتل يعاني من مرض نفسي قلبي ألا وهو الحسد، وما قام به الجاني نَتيجةٌ لآثار الحسد على نفسيته؛ حيث طغت عليه الأنانية والبخل والعنف، ورفض تقبُل حقيقة أفضلية الآخر على الآنا ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ﴾، بمعنى أن حالته النّفسية سهلت عليه جرم القتل، دون أن يشعر بأدنى ذنب، بالرغم من أن أخاه حاول إرشاده ونصحه بقوله ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ

ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ سوة المائدة/الآية:28-29.

فالمقتول هنا ليس بعاجز على رد الإساءة أو الإقدام على مواجهة القاتل، والحرص على قتله أولا، بل اختار موقف السلمية واللاعنف ونبذ العدوان؛ لا لشيء سوى خوفا من الله تعالى[1]، فقام بتذكير أخاه بجزاء الظالمين ألا وهو النار، إذ أن الحالة النّفسية للمقتول حالة سويّة شعر بالاطمئنان والرضى والرغبة في الفوز بالجنة، لأنه كان من المتقين الذين يخلصون نيّاتهم لله عزّ وجلّ، فالتّقوى جعلت حالته النّفسية إيجابية حيث استشعر معيَّة الله رغم أنّه يتعرض لأخطر موقف عدواني في حياته، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن التقوى تجعل الإنسان يتحكم في نفسه وانفعالاته وردود أفعاله في أشد اللحظات خطورة.

بُنيت هذه القصّة على مفارقات ضدّية وهي القتل في مقابل السلم، وفعل القتل في مقابل الامتناع عن القتل والخوف من الله في مقابل عدم الخوف من الله، تمثل هذه المفارقات رموزا دلالية ترسم العبرة والهدف من ذكر القصة، كون هذه التقابلات تحمل في طياتها المعضلة الأزلية، الّتي تؤرق كاهل الإنسان -صراع الخير والشر-، متجسدين في هيئة الأخوين ابني آدم عليه السلام، هذا الصراع الذي نشأ أساسا مع الحسد الذي أضمره إبليس لآدم حين رفض السجود له وتكبر وشعر بأفضلية الآنا على الغير؛ إذ صارت ثنائية الخير والشر صراعا متواصلا إلى الأبد، يتعرض له الإنسان في أطوار حياته، وهو بحاجة لصورة نموذجية تعلّمه كيفية التعامل مع هكذا مواقف.

تمت عملية القتل الشنيعة دون أن تتعرض الآيات لتفاصيل تلك الجريمة، حيث بقي المجال مفتوحا لذهن المتلقي حتى يتخيل تلك التفاصيل بكل بشاعة، إذ أن ملكة التخيل لدى الإنسان تُحفّز بالرموز السلبية لتُنْشئ مسرحية خيالية في ذهنه تسهل عليه فهم الخطاب أولا، ثمّ أنّه يقوم بربط الجو النّفسي العام السائد في القصّة مع تلك التفاصيل المتخيلة، فيُنْتِجُ بذلك شعورا نفسيا متأزما كفيلا لردعه عن القيام بجريمة القتل، وكان الفعل ﴿لَأَقۡتُلَنَّكَ﴾ رمزا

(1)- ينظر: محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن، دار الملاك، بيروت -لبنان- ط 5، 1996، ص 333.

دلاليا سلبيا مُحفزا لمخيلة المتلقي حتى يتصور كيفية القيام بالفعل، ويصدر أحكامه الخاصة الرافضة له، فيمتنع بدوره عن القيام به إذا ما صادفه موقف مماثل في حياته.

بعدما انتهى مشهد القتل، استرسلت الآيات في سرد مشهد آخر، قال تعالى:﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾ سوة المائدة/الآية:31، هذا المشهد من الحدث القصصي يرمز لقلة حيلة البشر، وإن ظن أنّه قوي ونبيه وله الأفضلية دائما، فرغم أنّه قدر على فعل القتل لكنه لم يستطع إيجاد حل لجثة أخيه[1]، إلى أن أرسل الله له غرابا يعلمه الدفن، والغراب هنا عبارة عن كائن غير عاقل في مقابل كائن عاقل أي البشر، إذ تفوق الكائن الغير عاقل على الكائن العاقل بحيلته وإن كان ذلك التفوق ليس مزيّة من الغراب، بل بأمر الله، لكن الكائن العاقل يجهل حقيقة أن الله هو من أرسل له الغراب ليعلمه كيف يُكرّم جثة أخيه ويدفنها، وهذا ما جعله يشعر بالعجز.

فالحكمة من وراء إرسال الغراب هي جعل القاتل يدرك حقيقة كونه مخلوقا ضعيفا مهما خُيّل إليه أنّه قوي جبار، فهو في الحقيقة لا يساوي شيئا من دون خالقه، ثمّ إن شعوره بالعجز جعله يصبح من النادمين، ممّا يعني أنّه استدرك حقيقته وعاد إلى طبيعته الّتي فُطِر عليها وهي نبذ العنف وحب الخير، والشعور بالذنب وتأنيب الضمير عند ارتكاب المعاصي، غير أن ندمه جاء متأخرا وأعماه حسده عن رؤية الحقيقة منذ البداية.

انتهت الأقصوصة بحكم الخالق على قاتل النّفس بغير حق، كأنما قتل الناس جميعا، في قوله عزّ وجلّ: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ ٣٢﴾ سوة المائدة/الآية:32، ولم يأت في الآيات ذكر سبب تقديم القربان حتى لا يكون للقاتل حجة تبرر فعلته، لأن القتل جريمة بشعة مرفوضة مهما كان السبب الكامن خلفها، والقاتل مجرم جزاءه

(1)- ينظر: عبد الكريم زيدان: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، ج1، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت -لبنان- ط1، 1998، ص 110.

النار لأنه تعدى على حق غيره في الحياة الّتي كتبها الله عليه وسلبه روحه، فعملية القتل عملية تخريبية لنظام الكون، تنهي مسيرة استخلاف العبد في الأرض دون وجه حق.

انطوت رمزيّة قصة ابني آدم على العديد من الأهداف والمواعظ والعبر، الّتي جعلت منها موقفا إنسانيا يُستدعى كلما اقتضت الحاجة إليه، فهي بذلك قصة منفتحة على دلالات وقراءات لا متناهية، وهذا دليل على جماليّة وأدبية الحدث القصصي القرآني، المبهر للإنسانية منذ نزوله وإلى الأزل.

ولقد تجلت رمزيّة الحدث القصصي القرآني أيضا في حادثة تحطيم الأصنام من قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء، يقول الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾سورة الأنبياء/الآية: 52-70.

ورد ذكر هذه الآيات الّتي تسرد حادثة تهشيم إبراهيم عليه السلام لأصنام قومه في سورة الأنبياء ضمن سياق قصصي مفتوح بالتزامن مع ذكر أنباء رسل آخرين، فجاء ذكرها ملائما لأغراض الموضوع العام للسورة، ثمّ إن هذه الحادثة بالذات لها رمزيتها الخاصة، «تتميز عن سائر قصص السورة بكونها ذات تفصيلات وطول وعناصر حوارية مثيرة ممّا

تجعل لها أهمية خاصة»[1]، فالحادثة تنطلق بقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ﴾، أي أن الله تعالى خص إبراهيم بميزة الرشد.

والرشد هنا رمز مكثف المعاني، دال على مكانة إبراهيم عليه السلام لدى ربه بالرغم من صغر سنه، كان فتيا حسب ما ذكر في الآيات على لسان القوم: ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ﴾، وقد جاء في المعجم الوسيط أن «الفتى الشاب أول شبابه بين المراهقة والرجولة»[2]، فمن المعروف أن الإنسان في هذه المرحلة من عمره طائش في الغالب، لا يدرك رشده بعد، بيد أن إبراهيم عليه السلام حباه الله بالرشد، «وهي كلمة جامعة لكل ما يصلح شؤون الحياة المادية والروحية»[3]، والنبي استطاع بفضل تلك الميزة إدراك أن قومه على ضلال حين رآهم يعبدون أصناما لا تسمن ولا تغني من جوع، ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾، هنا يبدأ الحوار الذي دار بين إبراهيم وأبيه وقومه، حيث سألهم سؤالا تعجبيا إنكاريا، فهو يعجب لحالهم كيف يعبدون مالا يملكون لهم ضرا ولا نفعا، وينكر صنيعهم؛ وهو بهذا السؤال يرغب في نصحهم وإقناعهم بترك عبادة الأوثان.

يعتبر قيام النبي بنصح قومه أول مراحل التغيير الذي يرمي إليه، فالأصنام هنا عبارة عن رمز يدل على ارتباط الإنسان بالعادات والتقاليد الّتي ألفها منذ صغره، وتشكل تلك العادات نسقا ثقافيا ممتد الجذور في ذاكرة القوم، فردهم على سِال إبراهيم يؤكد ذلك بقولهم: ﴿وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾، فالنبي إبراهيم أراد من القوم تبديل عادة عبادة الأوثان والتوجه لعبادة الله سبحانه وتعالى، لأن الإنسان بفطرته مجبول على اتخاذ الآباء كقدوة منذ الصغر وإلى الكبر، وبالرغم من أن والد النبي كان كقومه يعبد الأوثان، إلا أن إبراهيم لم يقتد به، بل أتاه الله رشده، أي هداه إلى الحق من قبل أن يكون نبيا، وهذا ما اتضح من خلال الآية، ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾، فهي من الميزات الّتي خص بها الله أنبياءه، حيث صرفهم عن الشرك، وهيأهم سيكولوجيا لعدم تقبل ما اعتاد عليه أقوامهم من

---

(1)- محمود البستاني: قصص القرآن الكرم دلاليا وجماليا، ص 41.

(2)- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ص 673، (مادة فتاه).

(3)- فضل حسن عباس: قصص القرآن الكريم، ص 305.

معاصي وآثام، ممّا سهل بذلك نفسيا على إبراهيم رفض النسق الثقافي السائد، والشروع في بناء صرح أيديولوجي جديد.

فكان رده على قومه، ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، إذ كان رده رفضا قاطعا للعادات الّتي سادت في القوم نقلا جيلا عن جيل، ثمّ إن حواره معهم اتسم بالعقلانية وبفرضه لحجج دامغة على صحة دعوته، ممّا جعل القوم يشعرون بجدية موقفه فتساءلوا ﴿أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾، وهذا دليل على أنهم على دراية بالنبوة والأنبياء، وبأن الله تعالى يرسل في الأقوام رسلا، لهدايتهم إلى الحق وهذا ما أكده جواب إبراهيم، ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، ممّا يعني من خلال إجابته الّتي تُبرز قدرة الله وعظمته أن الله اختاره ليكون رسولا لقومه، فهو ملتزم بموقفه عن بيّنة وحجة، وكعزم منه والتزام بدعوته؛ قرر أن يكيد لأصنامهم عندما يبتعدون عنهم.

فهذا الحدث القصصي من قصة إبراهيم زاخر بالرموز الّتي تفتح مجال التّحليل للمتلقي لأن، «هذه التفصيلات المتصلة بعبادة ما «لا ينطق» وما «لا ينفع شيئا أو يضر»/.../ سنجدها في تضاعيف القصّة عبر أحداث ومواقف لاحقة بيد أن القارئ أو السامع يكتشف بنفسه أصداء هذه الدلالات عندما يتابع القصة»[1]، فَعْزم إبراهيم على تكسير أصنام قومه بقوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾، هو تهديد لقومه وحرص منه على تغيير اعتقاداتهم السائدة بالفعل، عندما لم ينفع معهم النّصح والإرشاد، «وأصل الكيد: الاحتيال في إيجاد ما يضر مع إظهار خلافه، وقد عبّر به إبراهيم –عليه السلام– عن تكسير الأصنام وتحطيمها لأن ذلك يحتاج إلى احتيال وحسن تدبير»[2]، ففي لحظة توعد النبي بتهشيم أصنام قومه بلغت القصّة مرحلة التأزم بين النبي وقومه، ثمّ وصلت إلى الذروة في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾.

(1)– محمود البستاني: قصص القرآن الكريم دلاليا وجماليا، ج2، ص 48.

(2)– محمد سيد طنطاوي: القصة في القرآن الكريم، ج1، ص 131.

في هذه المرحلة قام إبراهيم بتنفيذ تهديده، فأقدم على تكسير الأصنام إلى قطع صغيرة، إلاّ كبيرهم لعل القوم يرجعون إليه ليعلموا من فعل هذا بآلهتهم فما قام به هو تغيّر في لهجة الزجر عن الشرك، كونه يعي جيدا شدة تعلق قومه بعاداتهم حتى أنها أصبحت قوة طاغية أعمت أفئدتهم عن إدراك الحقيقة، ولقد ترك لهم الصنم الكبير لكي يثبت لهم عجز تماثيلهم عن القيام بأدنى فعل ولو كان بسيطا، فلو كانوا آلهة حقا لمنعوا عملية تحطيمهم أو لعلم كبيرهم من قام بالعملية التخريبية، ثمّ قال القوم: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ﴾، في هذا الموقف من الحادث القصصي دار حوار بين القوم محاولين معرفة هوية الجاني الذي حطم أصنامهم، فتوصلوا إلى أن إبراهيم كان قد توعد تماثيلهم، فقرروا الإتيان به وإشهاد الناس لعلهم يجدون شاهدا على فعلته فلما سألوا إبراهيم ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ أجاب بكل ثقة ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. سورة الأنبياء/الآية:63-64

في هذا الموقف أدرك القوم من خلال إجابة إبراهيم أن أصنامهم عاجزة، فكبيرهم لا ينطق ويخبرهم عن الجاني، ممّا يعني بذلك أن حجة إبراهيم عليهم كانت دامغة، فاعترفوا أنهم هم الظالمون وليس إبراهيم ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾، أي أنهم أصروا على موقفهم وقالوا له إنك تعلم أن الأصنام لا تنطق، فكفى استهزاء بعقولنا حيث قال ﴿أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾، في جواب إبراهيم لفت لِانتباه قومه إلى سذاجة عقولهم الّتي رضيت بعبادة تماثيل لا تضر، ولا تنفع، عن عبادة الله الواحد القهار، فقال لهم أفلا تعقلون أي ألا تعودون إلى رشدكم وتنبذوا أفكاركم الساذجة، فما كان من القوم إلا أن عزّموا على رد فعل اتجاه ما قام به النبي ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾، وهذا الموقف يرمز إلى تعنّت القوم وتمسكهم بنسقهم الثقافي السائد، ممّا يدل عن قوة العادة الّتي طغت على العقل وأعمته تماما.

ثمّ اُختُزِلَ مشهد حرق إبراهيم مباشرة إلى قوله تعالى: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾، ففي هذا المشهد خرق للقانون الكوني، لأن النار في طبيعتها حارقة ولكنها

كانت على إبراهيم بردا وسلاما بأمر من الله وذلك دليل على نصرة الله لعبده الذي دافع بشراسة وشجاعة عن عقيدته، -عقيدة التوحيد- ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾، من خلال عملية نصر الله للنبي إبراهيم بجعله النار بردا وسلاما على إبراهيم.

انتهى الحدث القصصي بموقف مدهش يجعل ذهن المتلقي منفتحا لتخيل مدى عظمة هذه الآية؛ فالحدث القصصي ككل من بدايته إلى نهايته عبارة عن رموز دلالية تدعو القارئ إلى إعمال عقله وتدبر قوة الخالق وقدرته اللامتناهية، لأن العبرة والموعظة من هذه القصّة تتجاوز الأحداث المروية إلى ما وراء السرد، ممّا يجعلها قصة منفتحة على قراءات وتحليلات متجددة لا يمكن حصرها في زمان أو مكان معينين، بل هي صالحة لكل الأزمنة والأمكنة، كون الأوثان في هذه القصّة هي شفرة تحيل على عملية الشرك بالله الّتي لا تخص قوما دون غيرهم أو زمنا دون غيره بل هي موقف قابل للحدوث في كل آن.

نستخلص ممّا تقدم أن الرمزيّة في الحدث القصصي القرآني ليست هي الرمزيّة بمعناها الأدبي الذي يقصد به التورية، حيث تكون «ذات وجهين/.../ وجه ظاهر غير مراد، ووجه خفي يندس وراء هذا الوجه الظاهر»[1]، وكما أنها ليست هي الرمزيّة الّتي يراها رواد المذهب الرمزي الفلسفي، حيث لا يكون الفن جميلا إلا إذا «تعرى من الإشارات والإيماءات والإيحاءات الّتي تقوم وراء الصّورة الظاهرة للعمل الفني»[2]، فهذان النوعان من الرمزيّة الهدف من إيرادهما أدبي بحت لكي تضفي على العمل الفنّي جمالا ورونقا منقطع النظير.

لكن الرمزيّة الّتي يحضى بها القرآن الكريم أهدافها تتجاوز الجمال الأدبي إلى أغراض وعظية إرشادية، تتحقق ديمومة النّص القرآني وتضمن ملائمته لكل مواقف الحياة البشرية فالأحداث القصصية الواردة في القرآن الكريم زاخرة بالرمزية الّتي تمنحه العمق والانفتاح على العديد من القراءات والتحليلات اللامتناهية وذلك ما يؤكد أدبيته الساحرة المبهرة للعقول على مرّ العصور.

(1)- عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص323.

(2)- المرجع نفسه، ص 328.

2- التصوير الفنّي في الحدث القصصي:

يتميّز أسلوب عرض المشهد السردي في الخطاب القصصي القرآني بأدبيته الفذة الّتي جعلته يتفوق على أساليب الفنون الأدبية عند العرب قديما وحديثا، ممّا أبهرهم وأسر قلوبهم وعقولهم، بدقة تصويره وتجسيده للمشاهد والمواقف القصصية، وذلك ما جعلهم يبحثون في أسرار أدبيته فتوالت الدراسات والأبحاث منذ القدم وكانت أغلب الدراسات تركز على الصور البيانية والمحسنات البديعية الّتي يزخر بها الخطاب الإلهي.

لكن في المقابل هناك من لم يكتف بدراسة الجوانب البلاغية وأراد الوصول إلى سر الإبداع المشهدي في التصوير القرآني، فألف كتابا تحت عنوان "التصور الفنّي في القرآن الكريم" ألا وهو الدكتور "سيد قطب" الذي أحدث بدراسته قفزة نوعية في مجال الدراسات القرآنية، حين تناول في بحثه أسلوب القرآن في تعبيره «بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النّفسية وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية»[1]، فالنّص الإلهي بأسلوب تصويره للمواقف ينقل المتلقي إلى مسرح الحوادث ويجعله يعيش المشاهد في خياله تماما مثلما يتابع فيلما سينمائيا ذا جودة عالية «فإذا ما ذكرنا أن الأداة الّتي تصوّر المعنى والحالة النّفسية وتشخص النموذج الإنساني أو الحادث المروي إنما هي ألفاظ جامدة لا ألوان تصوّر ولا شخوص تعبر، أدركنا بعض أسرار الإعجاز في هذا اللون من تعبير القرآن»[2]، فمن خلال ذلك يتضح لنا أن الخطاب القرآني يجعل من ذهن القارئ مخرجا مسرحيا بما يثيره في ملكاته من قدرة على المسرحة الخالقة لوضعيات التبالغ الحي؛ بمعنى أنّه يجعل القارئ يشاهد الأحداث القصصية في مخيلته وكأنها تتحرك بالفعل أمّا عينيه، مثلما يتابع بثا حيا لإبداع فنّي مسرحي فوق الركح.

وهذا ما نجده في كثير من المشاهد القصصية القرآنية على غرار الآيات الّتي تسرد حادثة إحياء الطير من قصة إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً

---

(1)- سيد قطب: التصوير الفني، ص36.

(2)- المرجع نفسه، ص 37.

مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٦٠﴾ سورة البقرة/الآية:260.

لقد ورد ذكر حادثة إحياء الطير ضمن سياق قصصي سردي موضوعه العام قدرة الله على إحياء الموتى، حيث سبق هذه الأقصوصة سرد لأحداث قصة الرجل المار على القرية الخاوية على عروشها، والذي أماته الله مائة عام ثمّ بعثه حتى يطمئن إلى قدرة الله عزّ وجلّ، ثمّ جاءت قصة إحياء الطير في ذات السياق لأغراض دينية موحدة تهدف إليها السورة بما جاء فيها من قصص.

أراد النبي إبراهيم عليه السلام رؤية كيفية إحياء الله للموتى، ليس تشكيكا في قدرة الله عزّ وجلّ، فهو لم يسأل عن إمكانية إحياء الموتى بل أراد معرفة كيفية إحياءه بمشاهدة نموذج عمليّ وتجربة حقيقية أمام عينيه، إذ أنّه مؤمن بقدرته تعالى، لكنه أراد الشعور بطمأنينة القلب، فمن المعلوم أن الإنسان بفطرته يدرك الأشياء الملموسة بيقين جازم لا يغالبه شك، أكثر من إيمانه بالأمور الغيبية المجردة، والتجربة العملية للأمور الغيبية الّتي تفوق قدرة استيعاب العقل، تجعل قلب البشر مطمئنا موقنا بحقيقة الأمور والأشياء، وذلك ما ابتغاه النبي إبراهيم، ثمّ استجاب الله سبحانه لطلبه فأرشده إلى طريقة عملية يتحقق بها من كيفية إحياء الموتى.

ولقد رسمت الآيات صورة المشهد الذي عاشه النبي في تجربته حين يقول الله تعالى: ﴿فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ﴾ فينطلق المشهد السردي بفعل الأمر الذي يضفي على الموقف حركية مظمرة، تتجسد في ذهن المتلقي عن طريق تخيله لقيام النبي بالفعل المأمور به، حيث جمع أربعة من الطير وقام بتقطيعهم، فالعبارة ﴿فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ﴾اختزلت قيام النبي بعملية جمع الطير وتقطيعه؛ إذ أنها عبارة مكثفة الدلالات تخلق في مخيلة القارئ أو السامع مسرحة للمشهد المسرود.

ثمّ تتضح الصّورة أكثر في قوله تعالى: ﴿ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا﴾، فلم تُفصّل الآيات في مشهد تقطيع الطير وتفريقهم على الجبال، لكنها أعطت تلميحات باستخدام الألفاظ تؤدي إلى تخييل حسي ذهني لدى المتلقي، حيث يقول الإمام الراغب: «فصرهن: أي

أَمِلْهُنَّ، من الصَّور أي الميل، وقيل قطّعهنّ صورة صورة»[1]، كأن العبارة تقول للمتلقي أنظر إلى النبي وهو يقطع الطير، أنظر إليه يوزعهم على الجبال، ثمّ انظر ترى كيف يعودون إلى الحياة حين يقول تعالى: ﴿ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ﴾، فإن عدم تفصيل المشهد السردي يجعل الذهن منفتحا لتخيل عدد أجزاء الطير، وعدد الجبال الّتي وزعت عليها، وكيفية استعادة الطير لهيأتهم المعهودة قبل التقطيع، «ومع الاستعانة بالنصوص المفسرة تواجهنا تفصيلات للملامح الثلاثة المذكورة أو لبعضها فقد ورد عن عملية التفريق بأنّها تمثلت في توزيع الشرائح على عشرة جبال، وعن عملية الإحياء أن إبراهيم عليه السلام أخذ بمناقيرهنّ فاتلف لحم كل منها إلى رأسه»[2]، إذ أن العقل البشري بما حباه الله من قدرة على التخيل مبدع بالفطرة في تفصيل المجمل من الصور الذهنية، فبمجرد إثارة ملكاته بواسطة ألفاظ تصويرية دقيقة، يستطرد في جعل تلك الألفاظ الجامدة، شاخصة، حاضرة، مفعمة بالحركة والحيوية، ممّا يولد في نفسيته انفعالا وتأثرا بالمشاهد المروية، نظرا لقوة تأثير الخيال على العواطف البشرية.

ومن هنا اكتسب القرآن تلك المكانة الخاصة في القلوب والعقول، بسبب قدرته الفذة الخارقة على التصوير باستخدام الألفاظ والعبارات، وفي حادثة إحياء الطير يبدو المشهد قصيرا سرعان ما يتخطاه القارئ دون أن ينفعل معه، لكن الألفاظ الموظفة والمُكَوِّنة للحدث القصصي بما فيه من حركيّة تجذب ذهنه، لما انطوت عليه القصّة من خرق للقانون الكوني، إذ يصطدم عقل المتلقي في موقف يفوق قدرة استيعابه ويتركه منذهلا بالنهاية المفاجئة، حين يعود الطير للحياة، وكل ذلك دليل على التناسق الفنّي المبهر بين الألفاظ والعبارات والموضوع العام للقصة والأغراض المنشودة منها، والإيقاع الموسيقي الناشئ عن نظم تلك الألفاظ، فيترتب عن هذا التناسق انسجام للقصة مع السياق السردي السائد في السورة، خلال انتقاله من حدث قصصي إلى آخر.

وبناء على ما تقدم يتضح لنا قمة الإبداع الإلهي متجليا في أدبيّة التصوير الفنّي في الخطاب القصصي القرآني.

---

(1)- صلاح الخالدي: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ج1، ص450.

(2)- محمود البستاني: قصص القرآن الكريم دلاليا وجماليا، ص 111.

كذلك من بين الأحداث القصصية الّتي تزخر بتصوير فنّي باهر نجد حادثة الإسراء الّتي ورد ذكرها في بداية سورة الإسراء يقول الله تعالى:﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ الإسراء: 1.

افتتحت الآية بتمجيد الله تعالى لذاته وتنزيهه عن كل عيب، لقدرته المطلقة على ما لا يقدر عليه أحد سواه، ثمّ تسترسل الآية في رسم صورة فنية حيّة داخل ذهن المتلقي باستخدام الألفاظ في العبارة التالية: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾، فالمقصود بعملية الإسراء هو الرّسول محمد صلّى الله عليه وسلم، والفعل أسرى به يعني انتقل به أو أذهب به من مكان إلى مكان.

إذ يتضح لنا أن الحدث القصصي أفصح عن مكانين متباعدين، وأفصح عن زمن الرحلة وهو الليل، وهذه الألفاظ المكونة للمشهد السردي، تجذب خيال المتلقي، وتثير تساؤلات في ذهنه عن كيفية الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فالمعلوم أنّ المسافة بين هذين المكانين بعيدة جداً، إذ يقع المسجد الحرام بمكة المكرمة في شبه الجزيرة العربية، بينما يقع المسجد الأقصى في القدس بفلسطين، والمسافة بينهما تبلغ 1215 كلم، ومن غير المعقول أن تُقطع هذه المسافة الطويلة في الزّمن القصير المذكور في الحادثة أي الليل، لأن السفر في ذلك العصر كان يستغرق أياما وشهورا، لِانعدام وسائل النقل المتطورة المعروفة حديثا.

فالمتلقي لمشهد الرحلة يعيشها بكل جوارحه في مخيلته إذ تعمل الألفاظ ﴿ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ و﴿ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾، على تنشيط ملكة الخيال لديه لتصور حركة الانتقال بين المكانين بواسطة الطيران، لأنه الوسيلة الأكثر منطقية، لقطع المسافة المذكورة ليلا ذهابا وإيابا، ولقد ورد الكثير من الأحاديث المروية عن الرّسول صلّى الله عليه وسلم في تفصيل حادثة الإسراء، بيد أن القرآن الكريم ترك للمتلقي مهمة تفصيل المجمل من الصّورة الذهنية للرحلة المذكورة بما فيها من إبهار وسحر لعقله، فيتحوّل هذا الأخير إلى مسرح لما جرى من أحداث، ويحاول تخيّل من قام بفعل الإسراء، وشكله، إذ أنهم حسب المخيال العربي وما تناقل من روايات وأخبار هم الملائكة أو الملك جبرائيل عليه السلام، كما أن الآية ذكرت

وصفا للمسجد الأقصى في قوله تعالى: ﴿ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِی بَـٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾، والمقصود بالمباركة هنا هو الزيادة في الزروع والثمار[1]، ممّا يجعل ذهن القارئ منفتحا لتخيل هيئة ومنظر المسجد المبارك حوله.

ولقد صرح الله تعالى بأن هذه الرحلة كانت آية من آيات النبي صلّى الله عليه وسلم، كدليل على قدرته المطلقة في قوله ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَـٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، وهذه الآيات ليست موجهة للنبي وحده بل للمتلقين الذين استقبلوا الحدث القصصي، فهم كذلك يستدلون بهذه الرحلة العجائبية الأسطورية على قدرة الخالق عزّ وجلّ، إذ يعتبر هذا المشهد دعوة لإعمال العقل والتفكر في عظمة الله باستخدام الخيال فبالرغم من قصر عرضه في المخيلة إلا أنّه صوّر الحادثة تصويرا فنيا دقيقا، يُحلق بالقارئ إلى عوالم جديدة يستكشفها انطلاقا من ألفاظ بسيطة جامدة تثير فيه روح التساؤل وتنقله لمعايشة التجربة الروحية عن كثب.

وفقا لما تقدم نستخلص أن التصوير الفنّي في الحدث القصصي القرآني هو ميزة من أهم المميزات الّتي يختص بها القرآن الكريم عن سائر الإبداعات الأدبية البشرية، ممّا أكسبه قدرة فذة على التّأثير والإقناع في المتلقي، فالخطاب القصصي وإن طغت عليه وظيفة الإخبار إلا أنّه متناسق لا ينسحب إلى المعاني المعجمية فحسب، بل يعتمد على أدبيته وجماليته لأسر عقل القارئ وقلبه معا.

3- الإيقاع الموسيقي في الحدث القصصي:

امتاز الإنسان العربي منذ القدم برهافة حسه، وعواطفه الجياشة، ونتيجة لذلك كان الشعر لسان حاله، وقل ما أبدع نثرا، لأن الشعر له خاصيته الّتي تميزه عن سائر فنون القول، ألا وهي الجرس الإيقاعي والنغمة الموسيقية؛ الّتي تستهوي القلوب وتثير العواطف، فمن هنا نزل القرآن الكريم ببنية إيقاعية مبهرة، لكي يؤثر تأثيرا مطلقا على عواطف العرب، ويسحر قلوبهم قبل عقولهم.

---

(1)- ينظر: أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج3، دار القلم العربي، حلب -سوريا-د ط، 2004، ص3.

إذ أن «هذا الجمال الصوتي، أو النظام التوقيعي، هو أول شيء أحسته الآذان العربية أيام نزول القرآن، ولم تكن عهدت مثله فيما عرفت من منثور الكلام، سواء أكان مرسلا أم مسجوعا، حتى خُيّل إلى هؤلاء العرب أن القرآن شعر»[1]، غير أن القرآن الكريم جاء بتناسق فنّي عجزوا عن الإتيان بمثله، ممّا أكد لهم أنّه ليس شعرا، فعباراته المنسجمة من حيث الشكل والمعنى، مهما نضج الإبداع البشري وبلغ ذروته، لا يمكن أن يضاهيها «وما هذه الفواصل الّتي تنتهي بها آيات القرآن إلا صورا تامة الأبعاد الّتي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا يلاءم نوع الصوت والوجه الذي يساق إليه»[2]، وهذا يعني أن القرآن بوصفه خطابا موجها لغرض الإقناع، اعتنى باختيار الأصوات الدقيقة المتلائمة مع الأحوال الدلالية المختلفة ممّا أنتج بذلك أجواء مشحونة بالعواطف والانفعالات، تسحر لبّ المتلقي دون إذن منه.

ولقد برزت هذه الجمالية الإيقاعية بشدة في الخطاب القصصي القرآني، إذ كان للفواصل دورها الخاص في نقل الأجواء النّفسية السائدة في المشاهد والأحداث، ممّا يؤثر على نفسية المتلقي، ويجعله يسرح بخياله مستشعرا كل المواقف بحس مرهف، ومن بين أبرز الأحداث القصصية الّتي تميزت بإيقاع متناغم مع السياق السردي، قصة ميلاد مريم بنت عمران الّتي وردت في سورة آل عمران في قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة آل عمران/الآية:35-36 .

يتجلى الإيقاع الموسيقي هنا في نهاية العبارات بحرف الميم والذي يشكّل الفاصلة القرآنية المميزة لهذا الحدث القصصي، إذ يُحدِث خروج حرف الميم من الخيشوم مع الغنّة إيقاعا موسيقيا باطنيا يتناسب مع الصّورة الذهنية للمشهد السردي؛ الذي تعرضه الآيات، فقيام امرأة عمران بنذر ما في بطنها لخدمة المسجد دليل على أنها كانت تأمل أن يكون المولود ذكرا.

---

(1)- أحمد ياسوف: جماليّة المفردة القرآنية: دار المكتبي، دمشق -سوريا-ط1، 1999م، ص 75.

(2)- صلاح الدين عبد التواب: الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص 75.

وهناك من النّصوص المفسرة «ما يشير إلى أن الله تعالى أو حتى لزوجها عمران بأنه قد وهب له ولدا مباركا يبرئ الأكمه والأبرص ويحي الموتى بإذن الله، وأن عمران أخبر امرأته بذلك، ولما حملت تمت عملية النذر المذكورة»[1]، ثمّ يتضح لنا من خلال الآيات أن امرأة عمران تفاجأت بالمولودة الأنثى، ولذلك قالت: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ سورة آل عمران/الآية 36، فهي تعلم أن المرأة لا تصلح لحمل الرسالة السماوية، لما لها من أعذار شرعية أثناء الطمث والنفاس، تمنعها من الاستمرار في خدمة المسجد، ولقد جاءت الفاصلة القرآنية في الألفاظ (العليم- مريم- الرجيم) الّتي انتهت بها العبارات، فكانت متناسقة مع المدلول الإيحائي للآية، والجرس الموسيقي الذي تتركه في أذن السامع يساعده على مسرحة الحدث في مخيلته، إذ أن امرأة عمران بعدما خاب أملها وتفاجأت بوضعها لأنثى، لم تجزع بل حافظت على هدوئها ورباطة جأشها، وتعاملت مع الموقف بكل وعي إيماني، فلم ينقلها ذلك من الشخصية المؤمنة المتماسكة إلى الشخصية المهزوزة.

وكانت حريصة على الوفاء بنذرها فقالت، ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ آل عمران: 36 ومعنى اسم مريم في لغتهم آنذاك، الناسكة والعابدة[2]، فالمتلقي للآيات يستشعر ذلك الجو النّفسي السائد في المشهد من خلال الإيقاع الموسيقي الناجم عن حرف الميم الساكن، والذي يبعث في نفسيته الإحساس بالهدوء والسكون الذي خيّم على امرأة عمران عند تعرضها لامتحان رباني اختبر قوة إيمانها ويقينها بالله سبحانه وتعالى، وكان جزاءها أن تَقبّل الله تعالى ابنتها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا.

لقد وردت قصة ميلاد مريم عليها السلام ضمن سياق سردي مفتوح في سورة آل عمران فلم يكن الإيقاع الموسيقي للسورة موحدا، بل جاء متنوعا وفق ما يقتضيه المشهد السردي من أجواء نفسية في كل قصة من القصص المروية، فيساعد بذلك المتلقي على معايشة القصص بكل جوارحه.

---

(1)- محمود البستاني: قصص القرآن الكريم دلاليا وجماليا ج1، ص 117.

(2)- ينظر: المرجع السابق، ص 120.

ومن بين الآيات الّتي نجد فيها تناسقا فنيا مبهرا في سرد مشاهد قصصية سرديّة متتالية، بحيث يأتي الإيقاع الموسيقي ملائما للمعاني والدلالات العامة للسورة من الآية 83 إلى 91 في سورة الأنبياء يقول الله تعالى: ﴿*وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾*﴾

سورة الأنبياء/الآية:83-91.

تسرد هذه الآيات أخبار أنبياء بعرض مشهدي خاطف، دون أيّ تعمق في تفاصيل الأحداث المروية، إذ جاء الإيقاع الموسيقي الداخلي في السورة موحدا ومعبرا عن الحالات النّفسية المصاحبة لكل مشهد قصصي، فالموضوع العام المشترك بين كل المشاهد، هو استجابة الله سبحانه وتعالى للعبد المضطر أثناء محنته.

وقد وردت الفاصلة القرآنية في اللفظة الّتي انتهت بها كل آية، حيث كان للحرفين الأخيرين "الياء والنون" تأثيرهم الخاص على أذن السامع أو المتلقي، إذ أن الجرس الموسيقي الذي يُحدثه خروج الحرفين مع غنة ينقل القارئ للتحليق بخياله في رحاب المناجاة الّتي دارت بين الأنبياء وخالقهم، فيجعله يستشعر ذلك الجو النّفسي من راحة واطمئنان سيطر على الأحداث أثناء تَغَيُّرِها من مرحلة التأزم الواضحة في دعوات الأنبياء إلى مرحلة الانفراج الواضحة في عملية إجابة الدعوات إذ قامت الفاصلة مقام القافية في الشعر، فساهمت في دقة تصوير الأحداث وجعلتها شاخصة في ذهن القارئ.

لقد تنوّع الإيقاع الموسيقي في القرآن الكريم من سورة إلى أخرى، ومن مقطع إلى آخر، ومن حدث قصصي إلى حدث آخر، فتجلى في إيقاع الحرف الأخير من الآية مثلما ما بيّن

في الأمثلة أعلاه، كما تجلى أيضا في إيقاع التجويد الناجم عن الأداء الصوتي الخاص بأحكام التجويد، وكذلك يتضح في إيقاع الكلمات مثل: "القرعة ما القارعة"، وفي تكرار مادة الجذر مثلا: "إذا وقعت الواقعة، الزاجرات زجرا، إذا دكت الأرض دكا"، وفي إيقاع التكرار لوزن الكلمة مثل: "ثم نظر ثمّ عبس وبصر"، حيث جاءت الألفاظ كلها على وزن فَعَلَ، بالإضافة إلى تكرار التركيب ذاته، مثل: "فبأي آلاء ربكما تكذبان"، وتكرار طول التركيب فتأتي المقاطع بنفس المستوى الصوتي مثل سورة العاديات، وأيضا تكرار نوع التركيب مثل تكرار جملتين شرطيتين في قوله تعالى:﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ سورة الكهف/الآية:29، وأخيرا إيقاع التدرج في طول التركيب مثل سورة العصر، كما قد يتشابه إيقاع قصة من القصص في كل السوّر المذكورة فيها[1] مثل قصة آدم في أكثر من سورة.

من خلال ما تقدم نخلص إلى أن الإيقاع الموسيقي القرآني له خصوصيّته، وما يميزه عن باقي الإيقاعات، فهو منتظم ومرتب بطريقة مملة كالإيقاع الشعري بل أنّه «جمع بين مزايا النثر والشعر جميعا، فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة»[2]، ممّا جعله مستساغا في الأذن ومحببا في القلب، بتناسقه الفنّي الباهر الذي يعجز كل الخلق عن مجاراته، وهنا تكمن قصة أدبيته الّتي أذهلت البشرية جمعاء وظلت محط اهتمامات العلماء في دراستهم.

4- الحدث القصصي وآفاق التلقي:

لقد اهتم الباحثون والدارسون في مجال الدراسات القرآنية بالقرآن الكريم –بوصفه رسالة– اهتماما بالغا، دون أن يهتموا كثيرا بالمتلقي، بخلاف منهج القرآن نفسه الذي أولى أهمية كبرى للمتلقي على حساب النّص ، كون هذا الأخير لا يتحقق الهدف من نزوله، إذا لم يتفاعل معه المتلقي، ومما لا شك فيه أن عملية التلقي تختلف من عصر إلى آخر ومن شخص إلى آخر فلكل عصر خصائصه الّتي تفرض نفسها في عملية التلقي، كما أنّ

(1)–حاج بن سراي: محاضرات في مقياس الخطاب القرآني، أولى ماستر، أدب عربي حديث ومعاصر كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة العربي التبسي، السنة الجامعية: 2018م/2019م.

(2)– لطفي فكري محمد جودي: جماليّة الخطاب في النّص القرآني، ص 173.

إمكانية الفهم والاستيعاب تختلف بين الأشخاص كلّ حسب وجهة نظره ومستواه الفكري والمعلوماتي.

والقرآن الكريم هو خطاب موجه إلى البشريّة كافة منذ نزوله وإلى قيام الساعة، فهم مطالبون بفهمه وسبر أغواره والعمل به، إذْ أنّ البشر في محاولة قراءته وتدبره بحثوه مرارا وتكرارا وفقا لما توصلوا إليه من نظريات وعلوم، غير أنّه كان ولا يزال صعب الفهم والتفسير لا تنتهي قراءاته ودراساته، بل أنّه مع كل قراءة تتولد له معان جديدة ودلالات إضافية تفتح المجال لقراءات أخرى لا متناهية، وذلك ما أدهش الباحثين وجعلهم لا ينفكون يبحثون في سر إبهاره.

لعل من أبرز المناهج النقديّة المعاصرة الّتي اهتمت بالمتلقي وإنتاجه للمعنى هي نظيرة القراءة والتلقي، كونها ركزت على القراءة بوصفها عملية إنتاج ثانية للنص فمع كل قراءة يتولد نص جديد؛ حيث يرى "فولفجانج إيزر" "Wolfgang Iser" أن المعنى لا يمكن بنائه إلاّ بمشاركة القارئ «فالنص ينطوي على عدد من الفجوات (lacunas) الّتي تستدعي قيام المتلقي بعدد من الإجراءات لكي يكون المعنى في وضع يحقق الغايات القصوى للإنتاج، وهو يكشف بذلك عن أن النّص يتضمن حتمية تشكّل ركنا أساسيا من وجوده، إنّها ماثلة فيما يطلق عليه إيزر القارئ الضمني (ImpliedReaden)»[1]، وهذا يعني أنّ القارئ بحاجة إلى آليات إجرائية يستخدمها للوصول إلى الفجوات الّتي تملئ النّص ، أي أنّ هذا الأخير ليس بنيّة تواصلية ثابتة يتم استقباله بالمعنى ذاته لدى جميع المتلقين، بل أنّه مجال واسع رحب يحتمل وجود معان باطنية ودلالات مسكوت عنها تفرض قراءات عديدة لا منتهية.

وهذا ما سماه "إيزر" القارئ الضمني وهو: «الذي يبني النّص من جديد، عبر قراءاته المقطعية للنص، والتي يؤدي فيها كل مقطع إلى تاليه وينتهي به إلى تعدد التفسيرات وأصبح هذا المفهوم أو المصطلح يمثل الأداة الإجرائية المناسبة لوصف التفاعل الحاصل بين النّص والقارئ، لأنّه يستطيع أن يبيّن لنا كيف يرتبط القارئ بعالم النّص وكيف يمارس هذا الأخير

(1)– عبد الناصر حسن محمد: نظرية التلقي بين ياوس وإيزر، دار النهضة العربية، القاهرة –مصر– (د . ط)، 2002م، ص 34.

تعليماته وتوجيهاته وتأثيراته الّتي تتحكم في بناء القارئ للمعنى النّصي»[1]، وبما أن النّص القرآني صيغ في قالب فنّي جمالي مشحون بالدلالات والمعاني، يفتح للقارئ مجالا واسعا للتفسير ولتذوق أدبيته الخارقة للقدرات البشرية كونه حافل بالفجوات الّتي تترك ذهن المتلقي في تفاعل ونشاط مستمر ليتخيل كل جزء مسقط من الأحداث خاصة فيما يتعلق بالمشاهد القصصيّة المرويّة.

ومن أمثلة ذلك ما نجده في قصة موسى عليه السلام والسامري في سورة طه، يقول الله تعالى: ﴿*وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ٨٥ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ٨٦ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ٨٧ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ٨٨ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ٨٩ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ٩٠ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ٩١ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ٩٣ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ٩٤ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ٩٥ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ٩٦ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسٗۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ٩٧ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ٩٨﴾ سورة طه/الآية:83-98.

تضمّن هذا الحدث القصصي من قصة موسى عليه السلام فجوات عدة باعتباره قد انطوى على مشاهد كثيرة تحتاج إلى خيال القارئ لتكتمل، إذ ينطلق الحدث من حوار دار

(1)- هاشم صهيود محمد المياحي: إيزر ونظرية الإستقبال، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والانسانية، ع:39 أوت 2018، جامعة بابل، العراق، ص 1206.

بين الله سبحانه وموسى عن قومه فأخبره الله تعالى أن قومه قد ضلّوا من بعده واتبعوا السامري.

ثمّ ينتقل السّرد لوصف حالة موسى عند سماعه خبر ضلال قومه وعودته غاضبا فدار بينه وبين قومه حوار يستفسر فيه عن سبب عبادتهم لصنم في غيابه، محذرا إيّاهم من غضب الخالق فأجابوه أن ذلك لم يكن بإرادتهم وإنّما من فعل السّامري الذي جمع حلي القوم وصنع عجلا جسدا له خوار أيّ: مجسد لا روح فيه ومع ذلك كان له صوت لأنه صنعه بطريقة معينة بحيث يصدر صوتا كصوت الثيران[1]، في هذه المشاهد من القصّة يترك النّص القرآني للقارئ فجوات بأسلوب إبداعي يُنشّط مخيّلته، ليتفاعل مع الأحداث تفاعلا إيجابيا خلاّقا يرسم في ذهنه صورا عن المشاهد المروية، فيتخيل الحالة النّفسية لموسى عندما علم رِدَّة قَومهِ، ويستشعر الجو النّفسي العام الذي خيم على الحدث في مرحلة التأزم.

ومما لا شكّ فيه أن القارئ الضمني حاضر في القصّة بشكل مكثف مع كل بياض دلالي في طيات الأحداث، حيث أن المجال مفتوح للخيال لكي يكمل الصور الذهنية المتعلقة بعملية صناعة العجل وعبادته، فتستمر الفجوة مع الحوار الذي دار بين موسى وأخاه هارون حين عاتب موسى أخاه بقسوة قائلا: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ٩٣ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ٩٤﴾ سورة طه/الآية:92-94.

في هذا المشهد بالذّات يبرز دور القارئ الضّمني الذي يقع على عاتقه تخيل الموقف والحالة النّفسية الّتي كانت عليها الشخصيتان أثناء العتاب فالنص القرآني استعمل أساليب فنيّة بالغة الدقة لتوجيه القارئ إلى صور معيّنة تنقله لمعايشة الأحداث شعورياً، حتى تؤدي القصّة أغراضها الّتي سيقت من أجلها على أتم وجه.

فإذا ما نظرنا إلى الأحداث التالية في حوار موسى مع السّامري نجد أن عنصر المفاجأة حاضر بقوة في قول السّامري﴿قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ٩٦﴾سورة طه/الآية:96، إذ أنّ المتلقي سيتفاجئ

(1)- ينظر: آية الله جعفر السبحاني: القصص القرآنية، ج2، ص 142.

بأسئلة تخطر على ذهنه بماذا بصر السامري؟ وما هي القبضة الّتي قبضها حتى سوّلت له نفسه صناعة العجل؟ وإجابات هذه الأسئلة تتوقف على المستوى الفكري للمتلقي ومدى وعيه واطلاعه على التفاسير والبحوث المتعلقة بالحدث.

فلقد تداولت تفاسير عديدة للآية من قبل العلماء والمختصّين، ولعل أقربها لمنطق ما ورد في الآيات هو تفسير السيد "الطبطبائي" في قوله: «يمكن أن يُتصور للآية معنى آخر بناء على ما ذكره بعضهم أن أوزار الزينة الّتي حملوها كانت حلي ذهب من القبط أمرهم موسى أن يحملوها وكانت لموسى أو منسوبة إليه، وهو المراد بأثر الرّسول فالسّامري يصف ما صنعه بأنّه كان ذا بصيرة في أمر الصياغة والتقليب، يحسن من صنعه التماثيل ما لا علم للقوم به فسوّلت له نفسه أنّ يعمل لهم تمثال عجل من ذهب فأخذ قبضة من أثر الرّسول وهو الحلي من الذهب فنبذها وطرحها في النار وأخرج لهم عجلا جسدا له خوار، وكان خواره لدخول الهواء في فراغ جوفه وخروج من فيه على ضغطة صناعية»[1]، وبالرغم من أن التفاسير عديدة ومختلفة إلاّ أنّ هذا المشهد ما زال مفتوحا للتفاسير والاجتهادات بسبب بقائه مبهما ومحط اختلاف بما يثيره من ردود أفعال متباينة في عملية تلقيه من شخص لآخر.

ثم يأتي المشهد الموالي بالعقاب الذي فرضه موسى على السّامري جراء فعلته فقال ﴿فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا ٩٧﴾ سورة طه/الآية: 97، فكانت عقوبته عزله عن الناس، فلا يخالطهم ولا يخالطونه إلى أن يحين موعد جزاءه الإلهي.

وهكذا ينتهي الحدث القصصي الذي جاء عرضه بأسلوب فنّي يجمع بين السّرد والحوار تاركا فجوات لتنشيط مخيلة المتلقي، ممّا يكسب القصّة حيويتها وأثرها القوي في الذهن، فالقالب الفنّي االذي صيغت فيه يُعلّم القارئ الارتجال وعدم الاكتفاء بالجاهز، من أجل الوصول إلى أعماق النّص واستشراف آفاق جديدة لم يتم التصريح بها.

(1)- ينظر: آية الله جعفر السبحاني: القصص القرآنية، ج2، ص 150.

وذلك يتّضح في غير ما موضع من القصص القرآني، على غرار قصة ميلاد عيسى عليه السلام، في قوله تعالى:﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤﴾ سورة مريم/الآية:24، حيث احتوت على فجوات دلالية في الأحداث الخارقة للطبيعة البشرية، عند حمل مريم العذراء ولحظة ميلادها ونطق ابنها من تحتها والتكلم معها.

وخلاصة القول لقد اتضح لنا أنّ النّص القرآني بما ينطوي عليه من أدبيّة فذّة منقطعة النظير، يظل نصاً لا يستنفد أغراضه أبدا، فهو قابل للقراءة والتحليل باستمرار مدام مليئا بالفجوات الّتي تُشْرِكُ المتلقي في إنتاج المعنى وفقا للحدود الّتي رسمها الخالق في رسالته السماوية إذ أن علم الله لا يمكن أن تحيطه القدرات البشريّة مهما عظمت.

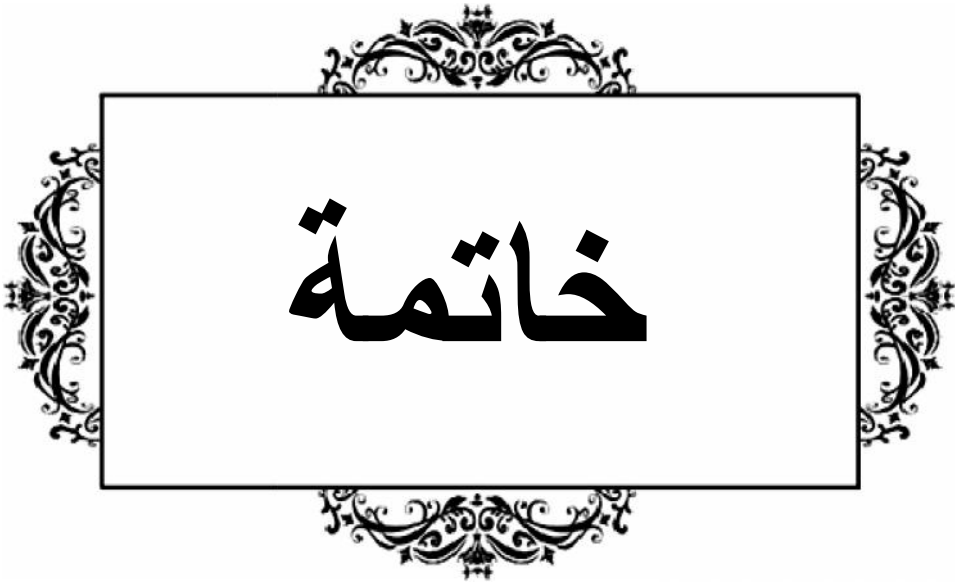
خاتمة

الحمد لله حمدا طيبا مباركا فيه، له الحمد على نعمة التوفيق والإعانة في إنجاز بحثنا الذي استمتعنا فيه بجمالية الإبداع الرباني متجليا في الخطاب القصصي القرآني بما يحمله من أدبيّة وفنيّة أدهشت البشر منذ نزول هذا الكتاب الكريم على سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلم، ولقد توصلنا في ختام بحثنا إلى جملة من النتائج المهمة متمثلة في ما يلي:

– القصص القرآني يتميز عن القصص الأدبي كونه ذو مصدر إلهي لم يرد في القرآن بغرض التسلية والمتعة فحسب، بالرغم من الجوانب الفنّية الجمالية فيه، بل إن ذكره جاء لأغراض وأهداف دينية إرشادية، توجه المتلقي نحو السلوك الإنساني الصحيح والسوي.

– أدبيّة الخطاب القرآني هي قراءة معرفيّة تتناول القرآن من منظور المناهج النقديّة الحداثية التناسق مع المناهج التراثيّة ودون إسقاط آلية لمقولات المناهج الغربيّة، بل بمراعاة خصوصية القرآن بوصفه رسالة سماوية إلهية المصدر.

– بالرغم من الاختلاف الملموس في المفاهيم الّتي وضعها الباحثون لمصطلحي الخطاب القرآني والنص القرآني، إلا أن هذين المصطلحين متداخلين ومكملين لبعضهما البعض، يصعب الفصل بينهما، حتى وإن تعدّدت دلالتهما.

– إنّ الأهداف والأغراض الّتي ينطوي عليها القصص القرآني، هي حكم بليغة لا يمكن حصرها، أثبتت صلاحيتها لكل الأمكنة والأزمنة، وجعلته عصيا على التّلاعب والتحريف.

– تباين أسلوب العرض القصصي في القرآن الكريم وفق السياق والأغراض من نزوله فتمثل في ثلاثة أنواع اتفق عليها أغلب الدارسين وهي القصّة التاريخيّة والقصة الواقعيّة والقصة التمثيليّة، إذ ساهم هذا التنوّع في جعل النّص القرآني ممتعا سهل الإقناع بعيدا عن الرتابة المملة.

– امتاز القصص القرآني بخصائص وسمات جعلته يتفوق على القصص الأدبي العادي، أهمها الواقعية والمصداقية في ذكر الأحداث والوقائع، والتنوع في طرق العرض والشمولية المطلقة والتكرار الهادف، والإقناع الفكري والامتناع الوجداني، إذ أن هذه السمات لا يمكن أنّ تتوفر كلها في القصص العادي بذات الإبداع والتناسق.

– لقد ميّزنا شكلين للبنية القصصية في الخطاب القرآني، متمثلين في القصّة المغلقة المكتملة، والتي ذكرها في موضع واحد من القرآن الكريم، والقصة المفتوحة الّتي يرد ذكرها في أكثر من موضع منه، وهذا التنوّع في صياغة المادة السرديّة أكسبته إمتاعا جماليا وفكر بالغ الإثارة والتميز.

– تنوعت الشخصيات في القصص القرآني، وتباينت أدوارها في الأحداث والمشاهد، فكان استحضارها لأهداف وغايات وعظية، غير أن أسلوب توظيفها ضمن القصص أضفى عليها فنّية ساحرة، بما لعبته من أدوار مهمة أثناء الأحداث.

– تميزت البنية الزمانية في الخطاب القصصي بخلخلة مذهلة، إذ تفاعل الزّمن القصصي مع الزّمن السردي فأصبح زمن السّرد هو حاضر الأحداث، وهذا التّلاعب من استباق واسترجاع وحذف وإضمار، أضفى على النّص القرآني أدبيّة وجمالية خارقة لم يعهدها العرب من قبله.

تميز استعراض المكان في القصص القرآني بالحضور الصّريح أو الضمني وبالانغلاق أو الانفتاح، حسب ما يتطلبه الموقف ويستدعيه سياق السرد، فتنوع من واقعي إلى غيبي أكسبه دورا فعالا في القصص، وأضفى لمسة جماليّة راقية تجاوزت أدبيته في القصص العادي.

– تعدّدت أساليب الحوار في القصص القرآني بين حوار داخلي وآخر خارجي، ساهما في تطوير الأحداث وتصوير الشخصيات في ذهنية المتلقي بشكل أدق، فتحققت أدبيته بمخاطبته للحيوان والجماد والغيبيات مخاطبة الإنسان، ممّا جعل النّص القرآني إطارا حواريا مفتوحا للكون ككلّ.

– اختلفت الرمزيّة في الخطاب القصصي القرآني عن الرمزيّة الأدبيّة، والرّمزية الفلسفيّة، فالغرض منها يتجاوز الجمال الأدبي، إلى أهداف إرشادية تحقق ديمومة النّص القرآني وتضمن تناسبه مع كل المواقف الّتي يتعرض لها المتلقي في حياته.

– أبدع القرآن الكريم في دقة تصويره للمشاهد والمواقف بطريقة جعلت المتلقي يحلق بخياله في رحاب أحداث القصّة ويعيشها كأنه أحد أبطالها، وهذه الميزة الّتي تميّز بها القصص

القرآني عن سائر فنون الأدب أكسبته قدرة فذة على التّأثير والإقناع، لا يمكن لأي خطاب وضعي أن يبلغها.

– انفرد الإيقاع الموسيقي في الحدث القصصي القرآني عن إيقاع الإبداعات البشرية، فهو متنوع وغير منتظم، حرّر التعابير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة، ممّا أضفى عليه جماليّة خاصة تسمو به عن رتابة الإيقاع الشعري المنتظم والممل، وهذا ما جعله يشتمل على أدبيّة خارقة أذهلت عقل المتلقي الذي ظلّ يبحث عن أسرارها إلى يومنا هذا.

– الخطاب القصصي القرآني خطاب مليء بالفجوات الحاضرة بقوة في أحداثه بأسلوب شيّق وممتع، يُشرك المتلقي في إنتاج المعنى وينشّط مخيلته، فيتفاعل معه تفاعلا خلاقا يستشرف من خلاله أفاقا جديدة متواجدة في أعماق القصص وبين فجواته، كما أنّه يظل خطابا منفتحا قابلا للتّحليل والقراءة في كل الأزّمنة والأمكنة.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

I. المصادر:

1. أبي الفداء إسماعيل بن كثير: قصص الأنبياء، دار الفكر، بيروت –لبنان– ط 1، 1973.

2. أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج3، دار القلم العربي، حلب، سوريا، د ط، 2004.

3. الحافظ جلال الدين السيوطي: أسرار ترتيب القرآن، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطاء، مرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة، القاهرة –مصر– ط1، 2002م.

4. عبد الرحمان الثعالبي: جواهر الحسان في تفسير القرآن، ج2، ط1، دار الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان.

5. محمد الرازي فخر الدين: التفسير الكبير، ج: 2، دار الفكر، بيروت –لبنان– ط 1، 1981م.

II. المراجع:

أ. المراجع العربية:

1. آية الله العضمى السيد محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم، دار الملاك للنشر، بيروت –لبنان– ط5، 1997.

2. آية الله جعفر السبحاني: القصص القرآنية دراسة ومعطيات وأهداف، ج1، دار الإلهام الصادق، ط1، 1428 هـ.

3. آية الله محمد باقر الحكيم: القصص القرآني، دار تراث الشهيد الحكيم، النجف – العراق– ط1، 2008م.

4. أحمد علي سعيد (أدونيس): النّص القرآني وآفاق الكتابة، دار الكتاب العربي، القاهرة–مصر– ط1، 1993.

5. أحمد ياسوف: جماليّة المفردة القرآنية، دار المكتبي، دمشق، سوريا، ط1، 1999م.

6. أسامة محمد العظيم حمزة: القصص القرآني وأثره في استنباط الأحكام، دار الفتح – مصر– ط2، 2008م.

7. أنور مرتجي، سنمائية النّص الأدبي، إفريقيا الشرق، –المغرب–، د.ط، 1987،

8. بشار إبراهيم، البنية الزمنية في القصّة القرآنية (الاسترجاع والاستباق)، دار الكتب العلمية للنشر، د ب، ط 1، 2011.

9. بيومي توفيق مصطفى: أدبية الأدب دراسة في نقاد النّص الشعري، دار الوراق، عمان – الأردن – ط1، 2015 م.

10. جابر عصفور: الصّورة الفنّية في التراث النقديّة والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء –المغرب– ط3، 1992م.

11. جميل حمداوي: الشكلانية الروسية في الأدب والنقد والفن أسسها وتطبيقاتها، دار إفريقيا الشرق، (د.ب) ط1 2016م.

12. الحافظ جلال الدين السيوطي: أسرار ترتيب القرآن، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطاء، مرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة، القاهرة –مصر– ط1، 2002م.

13. حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت –لبنان– ط 1، 1990.

14. حسن ناظم: مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول والمناهج والمفاهيم، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، بيروت، –لبنان– ط1، 1994 م.

15. حميد لحمادي: بنية النّص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، –المغرب–، ط1، 1991م.

16. رشاد رشدي: فن القصّة القصيرة، مكتبة الأنجلو المصرية للنشر، القاهرة –مصر– ط1، 1964.

17. سعاد الناصر: بلاغة القصّ في القرآن الكريم وآفاق التلقي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الدوحة – قطر –، ط1، 2015م.

18. سعيد حسن البحيري: علم لغة النّص، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، بيروت، –لبنان– 1998 م.

19. سعيد عبد العظيم: قصص القرآن عظات وعبر، دار العقيدة للتراث، الإسكندرية – مصر – ط1، 2001 م، ص27.

20. سعيد علي عطية مطلوع: الإعجاز القصصي في القرآن، دار الآفاق العربية، القاهرة – مصر – ط1، 2006م.

21. سليمان عشراتي: الخطاب القرآني مقارنة توصيفية لجمالية السّرد الإعجازي، ديوان المطبوعة الجامعية، البيض، الجزائر، ط1، 1998 م.

22. سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة – مصر– ط17، 2004م.

23. سيد قطب: في ظلال القرآن، ج 12، مج 4، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط2.

24. سيزا قاسم: بناء الرواية، هيئة الكتاب للنشر –مصر– ط 1، 2004.

25. صلاح الخالدي: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، ج1، دار القلم، دمشق–سوريا، ط1، 1998م.

26. صلاح الدين عبد التواب: الصّورة الأدبيّة في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الجيزة –مصر– ط1، 1995م.

27. عبد الرحمان الثعالبي: جواهر الحسان في تفسير القرآن، ج2، ط1، دار الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، (د.س).

28. عبد الرحمان النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، برامكة –دمشق–، ط25، 1431، 2010 م.

29. عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، دار المعرفة، بيروت –لبنان– ط2، 1975 م.

30. عبد الكريم زيدان: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، ج1، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت –لبنان– ط1، 1998.

31. عبد اللطيف رجب القانوع: قضايا الأمة وعلاجها في القصص القرآني. (د.ط)، (د.س).

32. عبد الله خضر حمد: الإنزياح التركيبي في النّص القرآني دراسة أسلوبية، دار البازوري عمان، الأردن، ط1، 2018.

33. عبد المالك مرتاض: نظرية النّص الأدبي، دار هومة، الجزائر، ط2، 2010 م.

34. عبد الناصر حسن محمد: نظرية التلقي بين ياوسوإيزر، دار النهضة العربية، القاهرة –مصر– د ط، 2002م.

35. عمر حسن القيّام: أدبيّة النّص القرآني بحث في نظرية التفسير، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت –لبنان– ط1، 2011م.

36. عمر حسن القيّام: أدبيّة النّص القرآني بحث في نظرية التفسير، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بيروت –لبنان– ط1، 2011م

37. عمر محمد باحاذق: الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، دار المأمون للتراث، دمشق – سوريا – ط1، 1993م.

38. فالح الربيعي: القصص القرآني رؤية فنية، دار الثقافة، للنشر، القاهرة –مصر– ط 1، 1422هـ/2002م.

39. فضل حسن عباس: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، دار الفرقان، عمان – الأردن –ط1، 1987م.

40. فضل حسن عباس: قصص القرآن الكريم، دار النفائس، الأردن، ط3، 2010م.

41. لطفي فكري محمد الجودي: جماليّة الخطاب في النّص القرآني " قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين"، مؤسسة المختار، القاهرة –مصر– ط 1، 2014م.

42. محمد أحمد خلف الله: الفن القصصي في القرآن لكريم، شرح وتعليق: خليل عبد الكريم، دار سينا، ط 4، القاهرة – مصر – 1999م.

43. محمد البستاني: قصص القرآن الكريم دلاليا وجماليا، ج1، مؤسسة البسطين العالمية، إيران، ط2، 1428 هـ.

44. محمد الرازي فخر الدين: التفسير الكبير، ج: 2، دار الفكر، بيروت –لبنان– ط 1، 1981م.

45. محمد بوعزة: تحليل النّص السردي (تقنيات ومفاهيم)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت –لبنان– ط 1، 2010م.

46. محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن، دار الملاك، بيروت –لبنان– ط 5، 1996.

47. محمد خضر: سرديات الخطاب القرآني، بلاغة السّرد القصصي في القرآن الكريم، خطاب القرآن في سورة الرحمان، ج1، دسوق –مصر– ط1، 2015م.

48. محمد سيد طنطاوي: القصّة في القرآن الكريم، ج1، دار نهضة –مصر– ط 1، 1996.

49. محمد صابر عبيد: سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط 1، 2008م.

50. محمد صالح المنجد: نظرات في القصص والروايات، مجموعة زاد، ط1، 1431 هـ، 2006م.

51. محمد صالح المنجد: نظريات في القصص والروايات مجموعة زاد للنشر بالمملكة العربية السعودية، ط1، 2010م.

52. محمد قطب: منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، – مصر – ط6، 1983م.

53. محمد يوسف نجم الدين: فن القصة، دار الثقافة، بيروت– لبنان– ط5، 1965م.

54. محمود عكاشة: تحليل خطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دراسة تطبيقية لأساليب التّأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، دار المنهل، دبي – الإمارات العربية المتحدة – ط1، 2013م.

55. مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، مكتبة الوهبة، القاهرة، مصر – (د . ط).

56. نبيل حمدي الشاهد: بنية السّرد في القصّة القرآنية، سليمان فياض نموذجا، المجلس الأعلى للثقافة للنشر، القاهرة –مصر– د ط، 2016.

57. نصر حامد أبو زيد: مفهوم النّص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، –المغرب–، ط1، 2014م.

58. وليد منير: النّص القرآني من الجملة إلى العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة – مصر–، ط1، 1997 م.

59. يمنى العيد: الراوي الموقع والشكل، بحث في السّرد الروائي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت–لبنان– ط1، 1986م.

60. يوري لوتمان وآخرون: جماليات المكان، الدار البيضاء للنشر، ط 2، 1988م.

61. يوسف نوفل: قضايا الفن القصصي، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، د ط، 1967م، مقدمة الكتاب.

ب. الكتب المترجمة:

1. تزفيتان تودوروف: الأدب والدلالة، تر: محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1، 1996م.

2. رومان جاكسبون: قضايا الشعرية، تر: محمد الولي، مبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء –المغرب– ط1، 1988م.

3. سارة ميلز: الخطاب، تر: عبد الوهاب علوب، المركز القومي للترجمة، القاهرة – مصر –،ط1، 2016 م.

4. محمد أركون: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، تر: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت – لبنان– ط6، 2012م.

5. محمد أركون: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، تر: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت –لبنان– ط2، 2005 م.

6. محمد أركون: نافذة الإسلام، تر: صياح الجهيم، دار عطية، ط1، 1996 م، بيروت – لبنان–.

7. نقيد كرماني: بلاغة النور جماليات النّص القرآني، تر: محمد أحمد منصور وآخرون، مراجعة: سعيد الغانمي، دار الجمل، بيروت –لبنان– 2008م.

3. المعاجم والقواميس:

1. أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، مج: 12، دار صادر، بيروت –لبنان– ط1، 2000 م.

2. سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبيّة المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، دار الكتاب اللبناني، بيروت– لبنان – ط1، 1985م.

3. لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1،2002م.

4. مجد الدين محمد يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تج: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، دار الرسالة، دمشق– سوريا– ط6، 1998.

5. مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية –مصر– ط4 2004م.

5. الموسوعات:

1. نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبيّة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الجيزة – مصر – ط1، 2003م.

6. المجلاّت والدوريات:

1. مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، عدد39 أوت 2018، جامعة بابل، العراق.

5. الرسائل الجامعية:

1. رياض بن يوسفي: أدبية السّرد القرآني مقاربة من منظور علم السرد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، السنة: 2009 م، 2010م، (أطروحة دكتوراه).

2. سمير بن نابت: مفهوم الأدبيّة في النقد –المغرب–ي القديم، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة – الجزائر – السنة: 2011 م، 2012م، (رسالة ماجستير).

3. عبد اللطيف رجب القانوع: قضايا الأمّة وعلاجها في القصص القرآني، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة – فلسطين– السنة : 2011م / 2012م، (رسالة ماجستير).

4. عبد اللطيف رجب القانوع: قضايا الأمة وعلاجها في القصص القرآني، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة – فلسطين– السنة: 2011م (رسالة ماجستير).

فهرس المحتويات

الفـــهرس

بسملة

شكر وعرفان

مقدمة ..... أ–د

المدخل: بين النّص القرآني والخطاب القرآني

I. مفهوم القصة: 6

1– القصّة: 6

أ. لغة: 6

ب– القصّة اصطلاحا: 8

II– علاقة النّص القرآني بالخطاب القرآني: 11

1– مفهوم النّص القرآني: 11

2– مفهوم الخطاب القرآني: 16

الفصل الأوّل: أهداف وسمات القصص القرآني

I. الأدبية والقصص القرآني: 22

1– مفهوم الأدبية: 22

أ– عناصر الأدبية ومحدّداتها: 24

أ–1– الصّورة الأدبيّة: 25

أ–2– الإيقاع: 26

ب– علاقة الأدبيّة بالشعرية والجمالية: 27

2– أدبيّة الخطاب القرآني: 29

3– مفهوم القصص القرآني: 32

أ– إثبات الوحي والرسالة: 35

ب– الدروس والعبر: 36

ج– تثبيت قلب النبي صلّى الله عليه وسلم: 38

د– أغـراض تربوية: 38

هـ– تعليم فضائل الأخلاق عن طريق القدوة العمليّة: 39

و– تبيان قدرة الله الخارقة: 40

II. بنية القصص القرآني وخصائصه: 41

1– أنواع القصّة القرآنية: 41

أ– القصّة التاريخية: 41

ب– القصّـة الواقعية: 43

ج– القصّة التمثيلية: 44

2– الخصائص الفنّية للقصص القرآني: 45

أ– الواقعية: 45

ب- الصدق في ذكر الأحداث والوقائع التاريخية: 46
ج- مصدر القصّة القرآنية: 46
د- تنوّع طريقة العرض: 46
هـ- الثبات: 47
و- النّظافة والشموليّة المطلقة: 47
ح- أحسن القصص: 47
ط- التكرار الهادف: 48
ك- الإقناع الفكري: 48
3- أنواع البني القصصي في الخطاب القرآني: 49
أ- القصّة المغلقة (المكتملة): 49
ب- القصّة المفتوحة: 51
الفصل الثاني: أدبيّة الحدث القصصي في الخطاب القرآني
I. أدبيّة الحدث القصصي في الخطاب القرآني: 55
1- الشخصيات ومنطق الأفعال: 56
2- الحدث والبنية الزمانية: 61
3- الحدث واستعراض المكان: 66
4- الحوار ودوره في بناء الحدث القصصي: 71
أ- الحوار الخارجي (الديالوج): 72
ب- المنولوج (الحوار الداخلي): 74
II. جماليّة الأسلوب في الحدث القصصي: 76
1- الرمزية في الحدث القصصي: 76
2- التصوير الفنّي في الحدث القصصي: 87
3- الإيقاع الموسيقي في الحدث القصصي: 91
4- الحدث القصصي وآفاق التلقي: 95
خاتمة 101
قائمة المصادر والمراجع 105
فهرس المحتويات 115